د/ قاسم الأمير

رواية حقيقية

إرهاب الأدعياء

في اليمن

د/ قاسم الأمير

2026/2015

إرهاب الأدعياء في اليمن

حين يصبح الصمت جريمة

في زمنٍ تُصادر فيه الأصوات، وتُكمَّم فيه الأفواه، وتُعتقل فيه الكلمات قبل أصحابها، تأتي رواية "**الأدعياء**" لا لتروي حكاية امرأة واحدة، ولا لتسجل حادثة عابرة، وإنما لتفتح بابًا ظل مغلقًا طويلًا.

بابًا خلفه **الجوع والخوف، والسجن والابتزاز والفقر.**

وخلفه وطنٌ كامل يحاول أن يتنفس.

هذه ليست رواية للمتعة.

وليست نشرة سياسية.

وليست خطابًا حزبيًا.

إنها **شهادة.**

شهادة امرأة رأت وسمعت وعاشت.

شهادة مدينة اختنقت بالكلام الذي لم يُقل.

شهادة جيلٍ وُلد في زمن لم يختره، ثم وجد نفسه مطالبًا بأن يدفع ثمنه.

هذه الرواية لا تتحدث عن السياسة كما يتحدث عنها السياسيون.

لا تتحدث عن المناصب والكراسي والبيانات.

إنها تتحدث عن السياسة عندما تدخل بيتك.

حين يصبح راتبك ورقة ضغط.

حين يصبح رغيف الخبز وسيلة لإخضاعك.

حين يصبح الخوف جزءًا من تربية أطفالك.
حين تنظر خلفك قبل أن تتحدث.
وحين تفكر ألف مرة قبل أن تكتب جملة واحدة.
إنها رواية عن **الجوع**.
لكن الجوع هنا ليس مجرد معدة فارغة.
الجوع هو أن تستيقظ ولا تعرف كيف ستطعم أبناءك.
أن ترى أمًا تفقد ابنها.
أن ترى أبًا يبيع أرضه التي ورثها عن أبيه كي يشتري الخبز.
أن ترى طفلًا يبحث بين القمامة عما يمكن أن يأكله.
أن ترى موظفًا يتحول راتبه إلى أداة لإجباره على الصمت.
وأن ترى وطنًا كاملًا يُطلب منه أن يشكر من تركه جائعًا.
إنها رواية عن **الكرامة**.
عن الإنسان حين يُدفع إلى الاختيار بين لقمة عيشه وبين حريته.
عن المرأة حين تتحول سمعتها إلى سلاح في يد من يريد إسكاتها.
عن الابتزاز الذي لا يحتاج إلى سكين.
يكفي هاتف.
وصورة.
وتهديد.
وكلمة واحدة:

"اسكت"

وإن لم تسكت، يبدأ كل شيء.

التشهير.

التخوين.

التهديد.

الملاحقة.

الاعتقال.

وقد ينتهي الأمر خلف باب لا يُفتح إلا لمن يملك مفتاحه.

هذه هي البلاد التي تدخلها نادية.

نادية ليست بطلة خارقة.

ليست امرأة جاءت من عالم آخر.

ليست ثائرة صنعتها الأساطير.

هي فتاة في العشرينيات.

مذيعة.

خريجة كلية الإعلام.

درست في جامعة صنعاء.

عاشت في صنعاء.

عملت في قنوات.

قدمت برامج.

التقت مسؤولين.
عرفت إعلاميين.
عرفت أشخاصًا من الداخل.
سمعت ما يقال أمام الكاميرا.
وسمعت ما يقال بعد إطفائها.
رأت.
راقبت.
صمتت.
ثم جاء اليوم الذي لم يعد فيه الصمت ممكنًا.
قررت نادية أن تتكلم.
وكان عليها أن تعرف أن **الكلام في زمن الخوف ليس مجانيًا**.
في تلك اللحظة، لم تعد مجرد مذيعة.
أصبحت مشكلة.
إذا تكلمت، يمكن أن تصبح عميلة.
إذا اعترضت، تصبح مرتزقة.
إذا كتبت، تصبح خائنة.
إذا كشفت ما تعرف، يمكن أن تُتهم بما لم تفعله.
وإذا أصرت...
فقد يأتي الخوف إلى باب بيتها.

قد يبحثون عنها في عملها.
قد يلاحقونها في شارعها.
قد يحاولون تحطيم سمعتها قبل أن يحاولوا إسكات صوتها.
وقد يكتشف الإنسان عندها أن أخطر سجن ليس الذي له جدران.
بل الذي يجعل الناس يخافون من بعضهم.
لكن نادية نجت.
ونادية تكلمت.
تكلمت عن الجوع.
عن الفقر.
عن الجبايات.
عن النهب.
عن الانتهاكات.
عن السجون.
عن النساء اللواتي وجدن أنفسهن تحت التهديد والابتزاز.
عن الأمهات اللواتي ينتظرن أبناءهن.
عن الموظفين الذين انقطعت رواتبهم.
عن المسيرات التي تُفرض على الناس.
عن الدورات الثقافية التي يرى فيها كثيرون أداة للتلقين.
عن الجامعة حين تدخلها السياسة.

عن **المدرسة حين تصبح عقول الأطفال ميدانًا للصراع.**

عن **الإعلام حين يفقد استقلاله.**

وعن أولئك الذين اكتشفوا أن أسهل طريقة لإسكات الإنسان هي أن تمسكه **من لقمة عيشه.**

وتكلمت عن **21سبتمبر.**

عن اليوم الذي يراه أنصار الحوثيين ثورة، بينما يراه خصومهم نقطة تحول أدخلت البلاد في مرحلة من السيطرة والحرب والانقسام.

وتكلمت عن **26سبتمبر.**

عن الجمهورية.

عن الحرية.

عن فكرة المواطنة التي تقول إن الإنسان لا يحتاج إلى نسب يمنحه قيمة، ولا إلى جماعة تمنحه حقًا فوق غيره.

وهنا تصل الرواية إلى أكثر مناطقها حساسية:

النسب.

لا لأن النسب جريمة.

ولا لأن الانتماء إلى أسرة أو سلالة عيب.

وإنما لأن الرواية تضع إصبعها على لحظة يتحول فيها **ادعاء النسب إلى امتياز، والامتياز إلى سلطة، والسلطة إلى استعلاء، والاستعلاء إلى ظلم.**

إنها تواجه أولئك الذين يستخدمون النسب أو الدين أو القداسة ليقولوا للآخرين:

نحن فوقكم.

وتسألهم:

من أعطاكم هذا الحق؟

فالرسالة ليست ضد دمٍ بعينه.

ولا ضد أسرة بعينها.

ولا ضد طائفة بأكملها.

إنها ضد **فكرة أن يولد إنسان وهو يعتقد أن له حقوقًا لا يملكها غيره.**

وضد أن يتحول الدين من رسالة للعدل إلى أداة للهيمنة.

وضد أن يصبح ادعاء القرب من المقدس حصانة من السؤال والمحاسبة.

هذه هي الأدعياء.

رواية عن الذين لبسوا الأقنعة.

عن الذين تحدثوا باسم الدين.

عن الذين تحدثوا باسم الوطن.

عن الذين تحدثوا باسم الشعب.

ثم نسوا الشعب.

نسوا الجائع.

نسوا الفقير.

نسوا المرأة.
نسوا الطفل.
ونسوا أن الإنسان، قبل كل شيء، **إنسان**.
لكن الرواية لا تتحدث عنهم وحدهم.
إنها تتحدث عن الذين صفقوا.
وعن الذين سكتوا.
وعن الذين استفادوا.
وعن الذين خافوا.
وعن الذين عرفوا الحقيقة ثم دفنوها في صدورهم.
وعن الذين قالوا:
"ليس لنا شأن."
لأن لهم شأنًا.
كلنا لنا شأن.
حين يُظلم إنسان، لا يعود الظلم شأنه وحده.
وحين تُسكت امرأة، لا يعود الصمت مشكلتها وحدها.
وحين يجوع طفل، لا يعود الجوع شأن أسرته وحدها.
وحين يصبح الخوف طريقة للحكم، يصبح الخوف قضية وطن كامل.
ولهذا...
هذه الرواية ليست عن نادية وحدها.

إنها عن **كل يمني**.
عن كل من صمت.
عن كل من تكلم.
عن كل من مات.
عن كل من عاش.
عن كل من هاجر.
عن كل من بقي.
عن كل من ينتظر.
عن كل أم ما زالت تنتظر ابنها.
عن كل أب يخشى الغد.
عن كل شاب ضاعت سنوات عمره بين الحرب والفقر.
عن كل فتاة خافت على اسمها أكثر مما خافت على حياتها.
وعن كل إنسان وقف ذات ليلة أمام المرآة وسأل نفسه:
إلى متى؟
إلى متى يصبح الخوف قانونًا؟
إلى متى يصبح الجوع وسيلة؟
إلى متى يصبح الصمت نجاة؟
وإلى متى يستطيع الإنسان أن يرى الظلم ثم يقنع نفسه بأنه لا يراه؟
ربما لا تغيّر الكلمات وطنًا.

لكنها تستطيع أن تكسر جدار الصمت.
وربما لا تنقذ رواية إنسانًا من السجن.
لكنها تستطيع أن تحفظ اسمه من النسيان.
وربما لا يستطيع صوت واحد أن يهزم الخوف.
لكنه يستطيع أن يقول للآخرين:
أنا رأيت.
أنا عشت.
أنا لم أنسَ.
وهذه الرواية هي ذلك الصوت.
صوت نادية.
وصوت الذين لم يستطيعوا الكلام.
وصوت الذين تكلموا ودفعوا الثمن.
وصوت مدينة تعلمت أن تخفض صوتها كي تنجو.
وصوت وطنٍ ما زال يبحث عن طريقه.
لذلك، إذا فتحت هذه الصفحات بحثًا عن حكاية امرأة فقط، فأنت لم تفهم الحكاية بعد.
وإذا فتحتها بحثًا عن خصومة سياسية فقط، فأنت لم ترَ الجرح.
وإذا قرأتها بحثًا عن أبطال وأشرار، فقد تفوتك المساحة الأكثر قسوة:

المساحة التي يقف فيها الإنسان العادي، بين خوفه وضميره، ويقرر ماذا سيفعل عندما يصبح الصمت أسهل من الحقيقة.

هذه ليست حكاية نادية وحدها.

إنها حكايتنا جميعًا.

وقد تكون الحقيقة مؤلمة.

وقد تكون قاسية.

وقد يغضب منها البعض.

وقد يحاول آخرون دفنها.

لكن الحقيقة لا تحتاج إلى أن تصرخ كي تبقى.

يكفي أن تجد شخصًا واحدًا يرفض أن ينكرها.

وشخصًا واحدًا يرفض أن يخاف.

وشخصًا واحدًا يقول:

كنت هناك.

رأيت.

وعندما أصبح الصمت جريمة... تكلمت.

الفهرست

الباب الأول: الجوع

الفصل الأول: البنت التي بيعت

- المشهد الأول: الجوع ليس لقمة
- المشهد الثاني: الأم التي فقدت ابنها
- المشهد الثالث: الأب الذي باع أرضه
- المشهد الرابع: البنت التي ساومت على شرفها

الفصل الثاني: الشعب الذي صمت

- المشهد الخامس: المواطن البسيط
- المشهد السادس: التعليم المنهار
- المشهد السابع: الصحة المفقودة
- المشهد الثامن: الأمن المعدوم

الفصل الثالث: من لا يستطيع أن يقول الحقيقة

- المشهد التاسع: المستفيدون من الباطل
- المشهد العاشر: أصحاب العقارات والأموال
- المشهد الحادي عشر: من مسكوه من لقمة العيش
- المشهد الثاني عشر: من يمشي مع القوي

الباب الثاني: الانتهاكات

الفصل الرابع: البنات في السجون

- المشهد الثالث عشر: قضية انتصار الحمادي
- المشهد الرابع عشر: البنات تحت الأرض
- المشهد الخامس عشر: الابتزاز الجنسي
- المشهد السادس عشر: السمعة كسلاح

الفصل الخامس: الزينبيات

- المشهد السابع عشر: مداهمة البيوت
- المشهد الثامن عشر: هتك الأعراض
- المشهد التاسع عشر: السرقة تحت مسمى الدين

الفصل السادس: الاعتقالات

- المشهد العشرون: من يتكلم يُعتقل
- المشهد الحادي والعشرون: من يكتب يُعتقل
- المشهد الثاني والعشرون: من يفكر يُعتقل

الباب الثالث: الابتزاز

الفصل السابع: قناة الهوية

- المشهد الثالث والعشرون: الوجه الآخر للإعلام
- المشهد الرابع والعشرون: محمد العماد

- المشهد الخامس والعشرون: الابتزاز المنظم
- المشهد السادس والعشرون: الفتيات المرسلات

الفصل الثامن: المسيرات

- المشهد السابع والعشرون: التحشيد القسري
- المشهد الثامن والعشرون: كشوفات الأسماء
- المشهد التاسع والعشرون: من يتخلف يُعاقب
- المشهد الثلاثون: المولد النبوي... سرقة الملايين

الفصل التاسع: الدورات الثقافية

- المشهد الحادي والثلاثون: طوفان الأقصى
- المشهد الثاني والثلاثون: غسيل الدماغ
- المشهد الثالث والثلاثون: من يتغيب يرسب
- المشهد الرابع والثلاثون: الطلاب كجواسيس

الباب الرابع: التعليم

الفصل العاشر: الجامعة

- المشهد الخامس والثلاثون: المناهج المسيسة
- المشهد السادس والثلاثون: الثقافة الوطنية
- المشهد السابع والثلاثون: الصراع العربي الإسرائيلي
- المشهد الثامن والثلاثون: الدكاترة الذين استقالوا

الفصل الحادي عشر: المدارس

- المشهد التاسع والثلاثون: تحريف المناهج
- المشهد الأربعون: تجنيد الأطفال
- المشهد الحادي والأربعون: مناهج الكهنوت

الباب الخامس: ٢١ سبتمبر

الفصل الثاني عشر: يوم الجوع

- المشهد الثاني والأربعون: كيف بدأ كل شيء
- المشهد الثالث والأربعون: انقطاع الرواتب
- المشهد الرابع والأربعون: الجوع... الفقر... الذل
- المشهد الخامس والأربعون: تكميم الأفواه

الفصل الثالث عشر: الثورة المزعومة

- المشهد السادس والأربعون: أين الحرية؟
- المشهد السابع والأربعون: أين الاستقلال؟
- المشهد الثامن والأربعون: اتصال ترامب
- المشهد التاسع والأربعون: اللعنة على أمريكا بالدولار

الباب السادس: ٢٦ سبتمبر

الفصل الرابع عشر: الثورة الحقيقية

- المشهد الخمسون: الحرية التي عرفناها
- المشهد الحادي والخمسون: الجمهورية التي نؤمن بها
- المشهد الثاني والخمسون: الكرامة التي فقدناها

الفصل الخامس عشر: العلم

- المشهد الثالث والخمسون: ارفعوا الأعلام
- المشهد الرابع والخمسون: غصبا عن أنوفهم
- المشهد الخامس والخمسون: عاشت الجمهورية

الباب السابع: الخروج

الفصل السادس عشر: لماذا تركت صنعاء؟

- المشهد السادس والخمسون: الخوف على السمعة
- المشهد السابع والخمسون: الضغط النفسي
- المشهد الثامن والخمسون: الوحدة

الفصل السابع عشر: لماذا تكلمت الآن؟

- المشهد التاسع والخمسون: السياسة لم تتركني
- المشهد الستون: أنا لم أتكلم في السياسة
- المشهد الحادي والستون: أنا تكلمت في الوضع

الباب الثامن: الحقيقة

الفصل الثامن عشر: رسالة إلى المشاهير

- المشهد الثاني والستون: الذين يطبلون
- المشهد الثالث والستون: الذين يسكتون
- المشهد الرابع والستون: الذين يستفيدون

الفصل التاسع عشر: كلمة أخيرة

- المشهد الثامن والستون: الشعوب لا تتغير بالكلمات
- المشهد التاسع والستون: يحتاج لها موقف حقيقي
- المشهد السبعون: أنقذوا اليمن... أنقذوا أنفسكم

الباب الأول: الجوع
الفصل الأول: البنت التي بيعت

المشهد الأول: الجوع ليس لقمة

في زاوية غرفة صغيرة في حي شعبي على أطراف صنعاء، كانت "أم محمد" تجلس على سجادة قديمة. أمامها، على طبق نحاسي، كان هناك رغيفان من الخبز. لا شيء آخر. لا جبن. لا بيض. لا شاي. فقط رغيفان.

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً. وكان أولادها الأربعة قد عادوا من المدرسة. جلسوا حول الطبق. لم يتكلم أحد. كانوا يعرفون أن الطبق لن يكفي. كانوا يعرفون أن أمهم ستقول إنها ليست جائعة. كانوا يعرفون أنهم سينامون وهم يشعرون بالجوع.

قال أصغرهم، "يوسف"، وعمره سبع سنوات:

—أمي. أنا جوعان.

قالت أمه:

—خذ رغيفك. ولا تتكلم.

قال:

—لكنه صغير.

قالت:

—هذا ما عندنا.

صمت. أخذ الرغيف. قضم منه. نظر إلى إخوته. كانوا يأكلون ببطء. كأنهم يريدون أن يطيلوا اللحظة. كأنهم يعرفون أن هذه آخر لقمة في هذا اليوم.

في الغرفة المجاورة، كان "محمد"، الأب، يجلس على الأرض. كان يمسك بورقة صغيرة. راتب. راتب شهر كامل. كان يعد. كان يعيد العد. كان يعرف أن الراتب لن يكفي. كان يعرف أن الراتب لم يعد يكفي منذ سنوات. كان يعرف أن الراتب لم يكن يكفي أبدًا.

وضع الورقة على الأرض. نظر إلى السقف. كان السقف منخفضًا. كانت هناك شقوق في الجدران. كانت هناك رائحة رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك جوع.

قال لنفسه:

—أنا رجل. أنا أب. يجب أن أطعم أولادي.

لكنه لم يطعمهم. كان جالسًا. على الأرض. يعد ورقة. راتبًا. لا يكفي.

في تلك الليلة، لم تنم "أم محمد". كانت تفكر. كانت تفكر في أولادها. كانت تفكر في زوجها. كانت تفكر في البيت. كانت تفكر في الجوع.

في الصباح، ذهبت إلى جارتها. كانت جارتها امرأة في الخمسينيات. كانت تعرف كل شيء عن الحي. كانت تعرف من عنده. من ليس عنده. من يستطيع أن يساعد. من لا يستطيع.

قالت أم محمد:

—يا جارتي. أنا محتاجة.

قالت الجارة:

—كلنا محتاجون.

قالت أم محمد:

—لكنني لا أستطيع. الأولاد جائعون. محمد لا يكفيه الراتب. أنا لا أعرف ماذا أفعل.

قالت الجارة:

—اسمعي. هناك طريقة. لكنها ليست سهلة.

قالت أم محمد:

—ما هي؟

قالت الجارة:

—هناك أناس. في الحي. يبحثون عن بنات. للزواج. لكن ليس زواجًا حقيقيًا. زواج "مسيار". أو "مؤقت". يدفعون. يدفعون كثيرًا.

صمتت أم محمد. كانت تعرف ما معنى "زواج مؤقت". كانت تعرف أن ابنتها "فاطمة"، في السادسة عشرة، ستصبح سلعة. كانت تعرف أن هذا هو آخر خيار. لكنها كانت تعرف أيضًا أن أولادها جائعون.

قالت:

—لا. لا أستطيع.

قالت الجارة:

—إذن، اصبري.

صمتت أم محمد. عادت إلى بيتها. جلست على السجادة. نظرت إلى طبق الخبز. كانت هناك رغيفان. فقط.

في تلك الليلة، جاء رجل. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو راكان". كان مشرف الحارة.

قال:

—يا أم محمد. سمعت أنك محتاجة.

قالت:

—نعم. الأولاد جائعون. محمد لا يكفيه الراتب.

قال:

—عندي حل. ابنتك فاطمة. جميلة. هناك رجل. من صعدة. يريد أن يتزوجها. زواج مؤقت. ثلاثة أشهر. يدفع خمسة ملايين. لك. وله. ولفاطمة.

صمتت أم محمد.

قال:

—خمسة ملايين. ستأكلون. ستشربون. ستعيشون. فاطمة ستعود بعد ثلاثة أشهر. كأن شيئًا لم يكن.

قالت:

—لكن هذا حرام.

قال:

—هذا حلال. هذا زواج. الزواج حلال. حتى لو كان مؤقتًا. حتى لو كان لثلاثة أشهر. حتى لو كان لمصلحة. هذا حلال.

صمتت أم محمد.

قال:

—فكري. عندك ليلة واحدة. غدًا سأتي. إذا وافقت، الملايين في يدك. إذا رفضت... لا أحد يجبرك. لكن أولادك سيبقون جائعين.

خرج.

جلست أم محمد. على السجادة. نظرت إلى فاطمة. كانت فاطمة نائمة. كانت جميلة. كانت في السادسة عشرة. كانت تحلم. لا تعرف أن أمها ستبيعها. لا تعرف أن المشرف سيأتي غدًا. لا تعرف أن الجوع سيأكل شرفها. لا تعرف شيئًا.

قالت أم محمد لنفسها:

—ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

لم تجب. لم يكن هناك جواب.

في الصباح، جاء "أبو راكان."

قال:

—قررتِ؟

قالت أم محمد:

—نعم.

قال:

—ماذا؟

قالت:

—فاطمة... سأتزوجها.

قال:

—ممتاز. الملايين في يدك. الليلة.

خرج.

جلست أم محمد. على السجادة. نظرت إلى فاطمة. كانت فاطمة تستيقظ. كانت تبتسم. كانت تقول:

—صباح الخير يا أمي.

قالت أم محمد:

—صباح الخير يا بنتي.

لم تقل شيئًا آخر. لم تستطع.

بعد ثلاثة أشهر، عادت فاطمة.

لم تكن مثل قبل. كانت شاحبة. كانت صامتة. كانت تكره نفسها. كانت تعرف أن أمها باعتها. كانت تعرف أن شرفها ذهب. كانت تعرف أن الخمسة ملايين لم تكن كافية. لم تكن كافية أبدًا.

قالت لأمها:

—لماذا؟

قالت أمها:

—كنا جائعين.

قالت فاطمة:

—الجوع ليس عذرًا.

قالت أمها:

—لكنه كان عذرًا.

صمتت فاطمة. دخلت غرفتها. أغلقت الباب. لم تخرج لثلاثة أيام. لم تأكل. لم تشرب. لم تتكلم.

في اليوم الرابع، خرجت. نظرت إلى أمها. قالت:

—لن أسامحك. أبدًا.

ثم خرجت من البيت. لم تعد.

بقيت أم محمد. على السجادة. نظرت إلى طبق الخبز. كان هناك رغيفان. فقط. مثل كل ليلة. مثل كل يوم. مثل كل سنة.

قالت لنفسها:

—أنا أم. أنا أطعمت أولادي. أنا فعلت ما يجب.

لكنها كانت تعرف أن ما فعلته لم يكن يجب. كانت تعرف أن فاطمة ذهبت. كانت تعرف أن الشرف ذهب. كانت تعرف أن الجوع لا يبرر. لكنها كانت تعرف أيضًا أن الجوع لا يرحم.

في الزاوية، كانت صورة فاطمة. في السادسة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرّة.

الآن، لم تكن هناك صورة. فقط ذكرى. فقط ألم. فقط جوع.

المشهد الثاني: الأم التي فقدت ابنها

في حي آخر، في "شعوب"، كانت "أم علي" تجلس أمام بابها. كانت تنتظر. كانت تنتظر ابنها. كان قد ذهب إلى "الجبهة" قبل ثلاثة أشهر. كان قد قال:

—يا أمي. سأذهب. سأقاتل. سأعود.

قالت:

—لا تذهب. أنا أخاف عليك.

قال:

—لا تخافي. أنا رجل. يجب أن أدافع عن وطني.

قالت:

—لكنك لم تكمل الثامنة عشرة.

قال:

—لا يهم. سأذهب.

ذهب.

في البداية، كانت تأتي رسائل. كان يقول:

—أنا بخير. لا تقلقي. سأعود قريبًا.

ثم توقفت الرسائل. ثم توقف كل شيء. لم يعد هناك شيء. فقط صمت. فقط انتظار. فقط خوف.

في الصباح، جاء رجل. كان يرتدي زيًا عسكريًا. كان يحمل ورقة. كان يمسك بيده. قال:

—أنت أم علي؟

قالت:

—نعم.

قال:

—ابنك... مات. في الجبهة. كان شهيدًا.

صمتت أم علي. لم تبك. لم تصرخ. فقط، جلست. على الأرض. أمام الباب. نظرت إلى الرجل. قالت:

—كيف مات؟

قال:

—كان في المعركة. قاتل. مات.

قالت:

—لكنه كان طفلًا.

قال:

—لا. كان رجلًا. كان مقاتلًا. كان شهيدًا.

قالت:

—لم يكن رجلًا. كان طفلًا. كان في الثامنة عشرة. كان يحب اللعب. كان يحب الضحك. كان يحب الحياة. أنتم أخذتموه. أنتم قتلتموه. أنتم...

صمتت. لم تكمل. لم تستطع.

الرجل وضع الورقة على الأرض. قال:

—هذه شهادة الشهادة. يمكنك أن تقدميها للمسؤولين. سيعطونك تعويضًا.

قالت:

—تعويضًا؟ تعويضًا عن ماذا؟ عن ابني؟ عن روحي؟ عن حياتي؟

قال:

—هذا كل ما نستطيع.

خرج.

جلست أم علي. على الأرض. أمام الباب. نظرت إلى الورقة. كانت تحمل اسم ابنها. كانت تحمل كلمة "شهيد". كانت تحمل توقيعًا. كانت تحمل ختمًا. كانت تحمل كذبة.

في الغرفة، كانت هناك صورة. صورة علي. في الثامنة عشرة. كان يبتسم. كان يمسك كرة. كان يلعب. كان سعيدًا.

الآن، لم يكن هناك صورة. فقط ورقة. فقط شهادة. فقط موت.

في الأسبوع التالي، جاء مشرف الحارة. كان يحمل "منحة". قال:

—أم علي. هذه منحة. من المسيرة. لأسرة الشهيد. خذيها.

قالت:

—لا أريدها.

قال:

—لكنها حقك. ابنك مات من أجل المسيرة. هذه منحة.

قالت:

—ابني مات من أجل لا شيء. مات من أجل كذبة. مات من أجل أشخاص لا يعرفهم. مات من أجل حرب لا يعرف لماذا. لا أريد منحتكم. لا أريد شيئًا. أريد ابني. أريد علي.

قال:

—هذا كل ما عندنا.

قالت:

—إذن، خذها. واذهب.

خرج.

جلست أم علي. على السجادة. كانت السجادة قديمة. كانت هناك شقوق في الجدران. كانت هناك رائحة رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك موت.

قالت لنفسها:

—علي. يا علي. لماذا تركتني؟ لماذا ذهبت؟ لماذا مت؟

لم يجبها أحد. لم يكن هناك أحد. فقط صورة. فقط ذكرى. فقط ألم.

المشهد الثالث: الأب الذي باع أرضه

في قرية صغيرة على أطراف صنعاء، كان "الشيخ صالح" يجلس في مضافته. كان في السبعينيات. كان قد عاش عمره في هذه القرية. كان قد ورث الأرض عن أبيه. عن جده. عن جده الأكبر. كانت الأرض كل شيء. كانت الأرض هويته. كانت الأرض حياته.

في ذلك اليوم، جاء رجل. كان يرتدي ثوبًا شعريًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو ياسر". كان مشرف القرية.

قال:

—يا شيخ صالح. نحتاج أرضك.

قال:

—لماذا؟

قال:

—المسيرة تحتاج. سنبني معسكرًا. سنبني مستودعًا. سنبني شيئًا للوطن.

قال:

—لكن هذه أرضي. أرض أبي. أرض جدي. أرض أجدادي.

قال:

—أعرف. لهذا سنشتريها.

قال:

—بكم؟

قال:

—بعشرة ملايين.

قال:

—عشرة ملايين؟ هذه الأرض تساوي مئة مليون. هذه الأرض كل حياتي. هذه الأرض...

قال:

—هذه الأرض للمسيرة. للمسيرة. عشرة ملايين. أو لا شيء.

صمت الشيخ صالح.

قال:

—لا. لن أبيع.

قال:

—إذن، سنأخذها.

قال:

—كيف؟

قال:

—بالقوة. بالقانون. بالقرار. هذه الأرض أصبحت "أوقاف". أوقاف للإمام. أوقاف للمسيرة. لا يمكنك أن تبيع. لا يمكنك أن تورث. لا يمكنك أن تفعل شيئًا. فقط، خذ العشرة ملايين. واذهب.

صمت الشيخ صالح.

قال:

—أعطني وقتًا.

قال:

—عندك يوم واحد. غدًا سآتي. إذا وافقت، الملايين في يدك. إذا رفضت، الأرض لنا. وأنت... لا شيء.

خرج.

جلس الشيخ صالح. في مضافته. نظر إلى الأرض. كانت أمامه. كانت خضراء. كانت جميلة. كانت حياته.

في الصباح، جاء أبو ياسر.

قال:

—قررت؟

قال الشيخ صالح:

—نعم.

قال:

—ماذا؟

قال:

—سأبيع.

قال:

—ممتاز. الملايين في يدك.

قال:

—لكن ليس لأنني أريد. لأنني لا أستطيع. لأنكم أقوى. لأنكم تأخذون. لأنكم تسرقون. لأنكم...

صمت. لم يكمل.

أخذ الملايين. خرج من القرية. لم ينظر إلى الوراء. لم يستطع. كان يعرف أن الأرض ذهبت. كان يعرف أن الهوية ذهبت. كان يعرف أن كل شيء ذهب.

في المدينة، اشترى بيتًا صغيرًا. كان البيت ضيقًا. كان البيت مظلمًا. كان البيت لا يشبه الأرض. كان البيت لا يشبه الحياة.

جلس في غرفته. نظر إلى السقف. كان هناك شقوق. كان هناك رطوبة. كان هناك صمت.

قال لنفسه:

—أنا بعت أرضي. أنا بعت هويتي. أنا بعت كل شيء. ماذا بقي؟

لم يجب. لم يكن هناك جواب.

المشهد الرابع: البنت التي ساومت على شرفها

في حي "الجراف"، كانت "سلمى" تجلس أمام المرآة. كانت في التاسعة عشرة. كانت جميلة. كانت تحلم. كانت تريد أن تدرس. كانت تريد أن تصبح طبيبة. كانت تريد أن تعيش.

لكنها كانت جائعة. كانت عائلتها جائعة. كان أبوها مريضًا. كان يحتاج إلى دواء. كان الدواء غاليًا. لم يكن هناك مال. لم يكن هناك أمل.

في ذلك اليوم، جاءت امرأة. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل حقيبة. كانت اسمها "أم رامي". كانت تعمل في "قناة الهوية". كانت تعرف كل شيء. كانت تعرف من يحتاج. من يريد. من يستطيع.

قالت:

—يا سلمى. سمعت أن أباك مريض.

قالت:

—نعم. يحتاج إلى دواء. لكننا لا نستطيع.

قالت:

—عندي حل. هناك رجل. في قناة الهوية. يريد فتاة. للعمل. سكرتيرة. راتب جيد. خمسة آلاف دولار في الشهر.

صمتت سلمى.

قالت:

—لكن...

قالت أم رامي:

—لكن ماذا؟ أنت جميلة. أنت ذكية. أنت تستحقين فرصة. هذه فرصة. ستعملين. ستأخذين راتبًا. ستدفعين دواء أبيك. ستعيشين.

قالت سلمى:

—لكنني سمعت...

قالت أم رامي:

—ماذا سمعت؟ كلام الناس؟ الناس يتكلمون. لكن الناس لا يدفعون دواء أبيك. الناس لا يطعمون أختك الصغيرة. الناس لا يفعلون شيئًا. أنت الوحيدة التي تستطيعين. أنت الوحيدة.

صمتت سلمى.

قالت:

—سأفكر.

قالت أم رامي:

—عندك يوم. غدًا سآتي.

خرجت.

جلست سلمى. أمام المرآة. نظرت إلى نفسها. كانت جميلة. كانت شابة. كانت تريد أن تعيش. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف ما معنى "سكرتيرة". كانت تعرف ما معنى "قناة الهوية". كانت تعرف ما يحدث للبنات هناك.

في الصباح، جاءت أم رامي.

قالت:

—قررت؟

قالت سلمى:

—نعم.

قالت:

—ماذا؟

قالت:

—سأذهب.

قالت:

—ممتاز. الراتب في يدك. الدواء في يدك. الحياة في يدك.

ذهبت سلمى.

بعد شهر، عادت. لم تكن مثل قبل. كانت شاحبة. كانت صامتة. كانت تكره نفسها. كانت تعرف أن شرفها ذهب. كانت تعرف أنها ساومت. كانت تعرف أن الدواء لم يكن كافيًا. لم يكن كافيًا أبدًا.

قالت لأمها:

—لماذا؟

قالت أمها:

—كنتم جائعين.

قالت سلمى:

—الجوع ليس عذرًا.

قالت أمها:

—لكنه كان عذرًا.

صمتت سلمى. دخلت غرفتها. أغلقت الباب. لم تخرج. لم تتكلم. لم تفعل شيئًا. في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة سلمى. في التاسعة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرّة.

الآن، لم تكن هناك صورة. فقط ذكرى. فقط ألم. فقط جوع.

المشهد الخامس: الجوع في عيون الأطفال

في مدرسة صغيرة في حي "شعوب"، كان "الأستاذ خالد" يقف أمام الصف. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا منذ ثلاثين سنة. كان يحب الأطفال. كان يحب التعليم. كان يحب وطنه.

لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى الأطفال يجيئون إلى المدرسة. بدون فطور. بدون طعام. بدون كتب. كان يرى الأطفال يجلسون على المقاعد. بلا حركة. بلا طاقة. بلا حياة.

في ذلك اليوم، سأل طفلًا:

—يا سامي. هل أكلت الفطور؟

قال سامي:

—لا.

قال:

—لماذا؟

قال:

—لا يوجد.

قال:

—ماذا يوجد في بيتكم؟

قال:

—لا شيء.

صمت الأستاذ خالد.

في الصف، كانت هناك طفلة. كانت في الثامنة. كانت اسمها "مريم". كانت تجلس في الزاوية. كانت تبكي. قال:

—مريم. لماذا تبكين؟

قالت:

—أنا جوعانة.

قال:

—ماذا أكلتِ البارحة؟

قالت:

—لا شيء.

قال:

—ولا شيء؟

قالت:

—فقط ماء.

صمت الأستاذ خالد.

قال:

—مريم. اذهبي إلى المدير. قولي له أن يأتي.

ذهبت مريم. عادت. قالت:

—المدير يقول لا يوجد شيء. لا يوجد طعام. لا يوجد مال. لا يوجد شيء.

صمت الأستاذ خالد.

نظر إلى الأطفال. كانوا جالسين. كانوا صامتين. كانوا جائعين. كانوا ينتظرون شيئًا. لكنهم كانوا يعرفون. كانوا يعرفون أنه لن يأتي شيء. لا طعام. لا كتب. لا مستقبل.

قال:

—يا أطفالي. أنا آسف. أنا آسف لأنني لا أستطيع أن أطعمكم. أنا آسف لأنني لا أستطيع أن أعطيكم شيئًا. أنا آسف لأنني...

صمت. لم يكمل. لم يستطع.

في الخارج، كانت هناك أزقة. كانت هناك بيوت. كانت هناك طعام في المطاعم. كانت هناك قصور للمشرفين. كانت هناك أموال. لكن الأطفال كانوا جائعين.

قال لنفسه:

—كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف أصبح الجوع عاديًا؟ كيف أصبح الأطفال ينامون بلا طعام؟ كيف؟

لم يجب. لم يكن هناك جواب.

المشهد السادس: المرأة التي باعت ذهبها

في حي "الروضة"، كانت "الحاجة زينب" تجلس في غرفتها. كانت في الستينيات. كانت قد ورثت ذهبًا عن أمها. عن جدتها. كان الذهب كل شيء. كان الذهب ذكرى. كان الذهب أمان. كان الذهب مستقبل.

لكن في ذلك اليوم، كان ابنها مريضًا. كان يحتاج إلى عملية. كانت العملية غالية. لم يكن هناك مال. لم يكن هناك أمل. لم يكن هناك شيء.

قالت لابنتها:

—يا ابنتي. أحضري الذهب.

قالت البنت:

—أي ذهب يا أمي؟

قالت:

—الذهب الذي ورثته. الذهب الذي...

قالت البنت:

—لكنه ذكرى جدتي.

قالت الحاجة زينب:

—جدتك ذهبت. لكن ابنك حي. يجب أن يعيش.

أحضرت البنت الذهب. كان في صندوق خشبي صغير. فتحته الحاجة زينب. نظرت إلى الذهب. كانت هناك أسورة. كانت هناك خواتم. كانت هناك قلادة. كانت هناك ذكرى. كانت هناك حياة.

قالت:

—خذي هذا. اذهبي إلى السوق. بيعيه. أحضري المال.

ذهبت البنت. عادت. كان المال قليلًا. كان الذهب غاليًا. لكن السوق لم يكن سوقًا. كان السوق "سوقًا سوداء". كان التجار يعرفون. كانوا يعرفون أن الناس جائعون. كانوا يعرفون أن الناس مضطرون. كانوا يعرفون أنهم يستطيعون أن يشتروا بأقل من الثمن.

قالت الحاجة زينب:

—بكم بعتِ؟

قالت البنت:

—بمليون.

قالت:

—مليون؟ الذهب يساوي عشرة ملايين.

قالت البنت:

—التاجر قال إن الذهب قديم. إن السوق راكد. إن...

صمتت الحاجة زينب.

قالت:

—اذهبي. ادفعي العملية. أنقذي ابنك.

ذهبت البنت.

جلست الحاجة زينب. في غرفتها. نظرت إلى الصندوق. كان فارغًا. لم يكن هناك ذهب. لم يكن هناك ذكرى. لم يكن هناك حياة.

قالت لنفسها:

—بعت ذهبي. بعت ذكرى أمي. بعت كل شيء. لكن ابني سيعيش. ابني سيعيش.

في المستشفى، كانت العملية. كان الابن على السرير. كان الأطباء يتحركون. كانت الأجهزة تصدر أصواتًا. كانت الحياة معلقة بخيط.

بعد ساعات، خرج الطبيب. قال:

—الحمد لله. نجحت العملية.

بكت الحاجة زينب. لكنها لم تكن دموع فرح. كانت دموع ألم. كانت دموع فقد. كانت دموع سؤال:

—لماذا بعت ذهبي؟ لماذا كان ابني مريضًا؟ لماذا لم يكن هناك مال؟ لماذا؟ لم يجبها أحد. لم يكن هناك أحد. فقط صندوق. فقط ذكرى. فقط ألم.

المشهد الخامس: المواطن البسيط

في شارع "الزبيري"، أحد أطول شوارع صنعاء وأكثرها ازدحامًا، كان "أبو سامي" يقف أمام بقالة صغيرة. كان في الخمسينيات. كان يرتدي ثوبًا قديمًا. كان يحمل حقيبة قماشية. كانت الحقيبة فارغة. كان قد جاء ليشتري. لكنه كان يعرف أنه لن يشتري شيئًا.

وقف أمام الرف. كان هناك أرز. كان هناك سكر. كان هناك زيت. كان هناك طحين. كان هناك كل شيء. لكنه كان يعرف أن الأسعار ارتفعت. كان يعرف أن راتبه لا يكفي. كان يعرف أن الحقيبة ستبقى فارغة.

قال البقال:

—تفضل يا أبو سامي. ماذا تريد؟

قال:

— كم الأرز؟

قال:

—سبعة آلاف.

قال:

—سبعة آلاف؟ قبل شهر كان بخمسة.

قال:

—نعم. الأسعار ارتفعت. كل شيء ارتفع. الأرز. السكر. الزيت. كل شيء.

قال:

—والسكر؟

قال:

—أربعة آلاف.

قال:

—والزيت؟

قال:

—خمسة آلاف.

صمت أبو سامي. أخرج محفظته من جيبه. كانت قديمة. كانت جلدها متآكلًا. فتحها. كان فيها ورقة واحدة. فئة ألفين. كان فيها بعض الفكة. مئتان. ثلاثمائة. لم يكن فيها أكثر.

قال:

—أعطني كيلو أرز.

قال البقال:

—كيلو واحد؟

قال:

—نعم.

قال:

—فقط كيلو؟

قال:

—نعم.

وزن البقال. لف. أعطاه. قال:

—سبعة آلاف.

قال أبو سامي:

—لكنني قلت كيلو واحد.

قال البقال:

—كيلو الأرز سبعة آلاف.

قال أبو سامي:

—منذ متى؟

قال البقال:

—منذ أسبوع. التسعيرة الجديدة.

صمت أبو سامي. نظر إلى الأرز. نظر إلى المحفظة. كان فيه ألفان. وفكة. لم تكن كافية. كان هناك فقر. كان هناك جوع. كان هناك صمت.

قال:

—لا أستطيع.

وضع الأرز على الرف. خرج من البقالة. لم يشترِ شيئًا. كان يعرف أن البقالة ستبقى كما هي. كان يعرف أن الحقيبة ستبقى فارغة. كان يعرف أن أولاده سيبقون جائعين.

في الخارج، وقف على الرصيف. كان الشارع مليئًا. كان هناك سيارات. كان هناك بشر. كان هناك ضجيج. لكنه لم يكن يسمع شيئًا. كان يسمع فقط صوتًا داخليًا. صوتًا يقول:

—أنت فاشل. أنت لا تستطيع أن تطعم أولادك. أنت لا تستطيع أن تشتري كيلو أرز. أنت لا شيء.

قال لنفسه:

—أنا رجل. كنت أعمل. كنت أشتغل. كنت أستلم راتبًا. كنت أعيش. الآن... الآن لا شيء. الراتب لا يكفي. العمل لا يوجد. الحياة لا توجد. فقط جوع. فقط خوف. فقط صمت.

في الشارع، مرت سيارة. كانت سيارة حديثة. كان فيها رجال. كانوا يرتدون ثيابًا فاخرة. كانوا يضحكون. كانوا يتحدثون في الهواتف. كانوا يعيشون.

نظر أبو سامي. لم يقل شيئًا. فقط، ابتسم. ابتسامة مريرة. كانت ابتسامة من يعرف أن الحياة ليست عادلة. كانت ابتسامة من يعرف أن هناك من يعيش. وهناك من يموت. وهناك من يصمت.

في المساء، عاد أبو سامي إلى بيته. كان البيت صغيرًا. كان في حي "شعوب". كان فيه غرفتان. كان فيه مطبخ صغير. كان فيه حمام. كان فيه ستة أفراد. كان فيه زوجته. كان فيه أربعة أولاد. كان فيه جوع.

قالت زوجته:

—ماذا اشتريت؟

قال:

—لا شيء.

قالت:

—لا شيء؟

قال:

—الأسعار مرتفعة. الراتب لا يكفي. لم أشترِ شيئًا.

صمتت.

في الغرفة، كان الأولاد يجلسون على الأرض. كانوا ينتظرون. كانوا يعرفون أن أباهم سيأتي بالطعام. لكنه لم يأتِ. كانوا يعرفون أن أباهم سيعود بالحقيبة. لكن الحقيبة كانت فارغة.

قال أصغرهم:

—أبي. أنا جوعان.

قال:

—أعرف.

قال:

—لماذا لا نأكل؟

قال:

—لأنه لا يوجد طعام.

قال:

—لماذا لا يوجد طعام؟

قال:

—لأننا فقراء.

قال:

—لماذا نحن فقراء؟

صمت أبو سامي. لم يجب. لم يستطع. كان يعرف الجواب. لكنه لم يستطع أن يقوله. كان الجواب: لأن هناك من سرق. لأن هناك من نهب. لأن هناك من أخذ كل شيء. لأن هناك من جعلنا فقراء.

جلس على الأرض. نظر إلى السقف. كان هناك شقوق. كان هناك رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك جوع.

قالت زوجته:

—ماذا سنفعل؟

قال:

—لا أعرف.

قالت:

—ماذا سنأكل؟

قال:

—لا أعرف.

قالت:

—كيف سنعيش؟

قال:

—لا أعرف.

صمت. صمت طويل. ثم قالت:

—ربما... ربما يجب أن نبيع شيئًا.

قال:

—ماذا؟ ليس عندنا شيء. بعنا كل شيء. بعنا الذهب. بعنا الأثاث. بعنا الأرض. لم يبقَ شيء.

قالت:

—ربما... ربما يجب أن نذهب.

قال:

—إلى أين؟ لا يوجد مكان. لا يوجد بلد. لا يوجد...

صمت. لم يكمل.

في الخارج، كانت المدينة. كانت صنعاء. كانت العاصمة. كانت اليمن. كانت الحرب. كانت الحياة. كانت الموت. كانت الجوع. كانت الصمت.

قال أبو سامي لنفسه:

—نحن شعب. نحن يمنيون. نحن أحفاد الجمهورية. كنا نتكلم. كنا نقاوم. كنا نعيش. الآن... الآن صمتنا. لماذا صمتنا؟ لأننا خفنا. لأننا جعنا. لأننا لا نستطيع. لكن الصمت... الصمت لا يطعم. الصمت لا يشفي. الصمت لا يحرر. الصمت يقتل.

المشهد السادس: التعليم المنهار

في جامعة صنعاء، كلية الإعلام، كان "الدكتور عبدالله" يقف أمام الصف. كان في الستينيات. كان أستاذًا منذ ثلاثين سنة. كان يحب التعليم. كان يحب الطلاب. كان يحب وطنه. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى الجامعة تتغير. كان يرى المناهج تتحول. كان يرى الطلاب يتحولون.

في ذلك اليوم، كان يشرح مادة "الثقافة الوطنية". لكنه لم يكن يشرحها كما في الكتاب. كان يشرحها كما يراها. كان يقول:

—الثقافة الوطنية ليست مادة. الثقافة الوطنية هي أن تعرف من أنت. أن تعرف تاريخك. أن تعرف هويتك. أن تعرف أن اليمن ليست سلالة. اليمن ليست كهنوتًا. اليمن جمهورية. اليمن حر.

في الصف، كان هناك ثلاثون طالبًا. كانوا يجلسون. كانوا يسمعون. لكنهم كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "المشرف" موجود. كانوا يعرفون أن "الطالب المراقب" موجود. كانوا يعرفون أن أي كلمة قد تؤدي إلى الاعتقال.

قال طالب:

—يا دكتور. هل يمكن أن نتكلم في هذا؟

قال:

—نعم. هذا صف. هذا جامع. هذا مكان للعلم.

قال:

—لكن... لكن المشرف...

قال:

—المشرف ليس أستاذًا. المشرف ليس طالبًا. المشرف ليس جزءًا من الجامعة. نحن الجامعة. نحن العلم. نحن...

قاطعه صوت من الخلف. كان صوتًا أجش. قال:

—دكتور عبدالله. ما هذا الكلام؟

التفت الدكتور. كان هناك رجل. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو جهاد". كان مشرف الجامعة.

قال:

—ماذا تقول للطلاب؟

قال الدكتور:

—أشرح مادة الثقافة الوطنية.

قال:

—الثقافة الوطنية؟ وهل الثقافة الوطنية تقول إن اليمن جمهورية؟ إن اليمن حر؟ إن اليمن ليست سلالة؟

قال:

—نعم. هذه هي الحقيقة.

قال:

—الحقيقة؟ الحقيقة أن اليمن للمسيرة. اليمن للسلالة. اليمن لعبدالملك. اليمن...

قال:

—لا. اليمن للشعب. اليمن للجمهورية. اليمن...

قاطعه:

—اسكت.

صمت الدكتور.

قال أبو جهاد:

—أنت ممنوع من التدريس. من اليوم. ستحاسب.

خرج.

جلس الدكتور. على الكرسي. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن الدكتور سيرحل. كانوا يعرفون أنهم سيبقون. كانوا يعرفون أن المنهج سيتغير. كانوا يعرفون أن الجامعة لم تعد جامعة.

في الأسبوع التالي، جاء "دكتور جديد". كان شابًا. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو سامي". كان مشرف المناهج.

قال:

—من اليوم. سنغير المنهج. لن ندرس "الثقافة الوطنية". سندرس "الثقافة الجهادية". لن ندرس "التاريخ اليمني". سندرس "تاريخ المسيرة". لن ندرس "الجمهورية". سندرس "السلالة."

صمت الطلاب.

قال:

—من لا يحضر. يرسب. من يعترض. يعتقل. من يتكلم. يختفي.

صمت.

في الصف، كانت هناك طالبة. كان اسمها "نادية ". كانت في العشرينيات. كانت تدرس الإعلام. كانت تحب الجامعة. كانت تحب العلم. كانت تحب اليمن. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن الجامعة تتغير. كانت تعرف أن المنهج يتغير. كانت تعرف أن اليمن يتغير.

في نهاية المحاضرة، قالت لصديقتها:

—هذا ليس تعليمًا. هذا غسيل دماغ.

قالت صديقتها:

—اسكتي. لا تتكلمي. إذا سمعوك، سيأخذونك.

قالت نادية :

—لكن هذا ظلم. هذا...

قالت صديقتها:

—اسكتي. من أجل نفسك. من أجل عائلتك. من أجل...

صمتت نادية . لم تتكلم. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن الصمت ليس حلًا. كانت تعرف أن الصمت هو المشكلة. كانت تعرف أن الصمت هو الجريمة.

المشهد السابع: الصحة المفقودة

في مستشفى "الثورة" في صنعاء، كان "الدكتور سامي" يقف في الطوارئ. كان في الأربعينيات. كان طبيبًا منذ خمسة عشر سنة. كان يحب مهنته. كان يحب المرضى. كان يحب الحياة. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى المستشفى يتدهور. كان يرى الدواء يختفي. كان يرى المرضى يموتون.

في ذلك اليوم، جاءت امرأة. كانت في الخمسينيات. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان وجهه شاحبًا. كان جسده يرتجف. كان مصابًا بحمى شديدة.

قالت:

—يا دكتور. ابني. ابني مريض.

قال:

—ماذا حدث؟

قالت:

—حمى. منذ ثلاثة أيام. لا تنزل. لا أدري ماذا أفعل.

قال:

—هل أعطيته دواء؟

قالت:

—لا. لا يوجد دواء. لا يوجد مال.

فحص الدكتور الطفل. كان جسده حارًا. كان قلبه سريعًا. كان تنفسه صعبًا. كان بحاجة إلى دواء. كان بحاجة إلى مضاد حيوي. كان بحاجة إلى خافض حرارة. كان بحاجة إلى...

قال:

—يجب أن نعطيه دواء. يجب أن ننقله إلى العناية.

قالت:

—لكن...

قال:

—لكن ماذا؟

قالت:

—لا يوجد دواء في المستشفى. قالوا لي.

صمت الدكتور.

ذهب إلى المخزن. كان فارغًا. لم يكن هناك دواء. لم يكن هناك مضادات. لم يكن هناك شيء.

عاد. قال:

—لا يوجد دواء. لا يوجد شيء. يجب أن ننقله إلى مستشفى آخر.

قالت:

—مستشفى آخر؟ لا يوجد مال. لا يوجد سيارة. لا يوجد...

قال:

—لكن إذا بقي هنا. سيموت.

صمتت المرأة.

في الخارج، كانت المستشفى. كان الممر مزدحمًا. كان هناك مرضى. كان هناك أطفال. كان هناك نساء. كان هناك رجال. كان هناك موت. كان هناك صمت.

بعد ساعات، مات الطفل. لم يكن هناك دواء. لم يكن هناك أمل. لم يكن هناك شيء.

جلست المرأة. على الأرض. كانت تبكي. كانت تقول:

—ابني. ابني. لماذا مت؟ لماذا؟ هل لأننا فقراء؟ هل لأننا لا نستطيع أن نشتري دواء؟ هل لأن...

صمتت. لم تكمل. لم تستطع.

جلس الدكتور سامي. في مكتبه. نظر إلى الجدران. كان هناك شقوق. كان هناك رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك موت.

قال لنفسه:

—أنا طبيب. كنت أعالج. كنت أنقذ. الآن... الآن لا أستطيع. لا يوجد دواء. لا يوجد أجهزة. لا يوجد شيء. كيف أعالج؟ كيف أنقذ؟ كيف؟

في الخارج، كانت المستشفى. كانت هناك مئات المستشفيات. كانت هناك آلاف الأطباء. كانت هناك ملايين المرضى. لكن لم يكن هناك دواء. لم يكن هناك أمل. لم يكن هناك شيء.

المشهد الثامن: الأمن المعدوم

في شارع "حدة"، كان "أبو محمد" يقف أمام نقطة تفتيش. كان في الأربعينيات. كان تاجرًا صغيرًا. كان يبيع مواد غذائية. كان يحب العمل. كان يحب الحياة. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى الأمن يختفي. كان يرى الخوف ينتشر. كان يرى القانون يتحول إلى سلاح.

في ذلك اليوم، أوقفه مشرف. كان شابًا. كان في العشرينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل بندقية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو راكان."

قال:

—توقف. أين أوراقك؟

قال:

—أي أوراق؟

قال:

—أوراق الترخيص. أوراق الضرائب. أوراق...

قال:

—لدي رخصة. لكنها في المحل.

قال:

—لا. يجب أن تكون معك. الآن.

قال:

—لكنني...

قال:

—لا نتكلم. تعال معي.

أخذوه إلى نقطة التفتيش. كان هناك غرفة صغيرة. كان فيها كرسي. كان فيها طاولة. كان فيها رجال.

قال أبو راكان:

—أنت متهم بالتهرب الضريبي. يجب أن تدفع غرامة.

قال:

—كم؟

قال:

—مليون.

قال:

—مليون؟ أنا تاجر صغير. راتبي في الشهر نصف مليون.

قال:

—لا يهم. مليون. أو السجن.

صمت أبو محمد.

قال:

—أنا لا أستطيع. ليس عندي مليون. عندي عائلة. عندي أولاد. عندي...

قال:

—إذن، السجن.

أخذوه.

في السجن، كان هناك زنزانة. كانت صغيرة. كانت مظلمة. كان فيها عشرون رجلًا. كانوا جالسين. كانوا ينتظرون. لا أحد يعرف لماذا هو هنا. لا أحد يعرف متى سيخرج. لا أحد يعرف شيئًا.

جلس أبو محمد. على الأرض. كان الظلام. كان الصمت. كان الخوف. كان السؤال.

قال لنفسه:

—لماذا أنا هنا؟ لأنني تاجر؟ لأنني لا أملك مليون؟ لأنني فقير؟ أين القانون؟ أين العدالة؟ أين الأمن؟

لم يجب. لم يكن هناك جواب.

في الخارج، كانت المدينة. كانت صنعاء. كانت هناك نقاط تفتيش. كانت هناك مشرفون. كانت هناك ابتزاز. كانت هناك خوف. لم يكن هناك أمن. لم يكن هناك قانون. لم يكن هناك عدالة.

قال أحد السجناء:

—أنا هنا منذ ثلاثة أشهر. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا.

قال آخر:

—أنا هنا منذ ستة أشهر. أخذوا أرضي. أخذوا بيتي. أخذوا كل شيء.

قال ثالث:

—أنا هنا منذ سنة. لا أعرف لماذا. لا أعرف متى أخرج. لا أعرف إذا كنت سأخرج.

جلس أبو محمد. على الأرض. نظر إلى السقف. كان هناك شقوق. كان هناك رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك خوف.

قال لنفسه:

—نحن شعب. نحن يمنيون. نحن أحفاد الجمهورية. كنا نعيش. كنا نأكل. كنا نتعلم. كنا نعالج. كنا نأمن. الآن... الآن لا شيء. فقط جوع. فقط مرض. فقط خوف. فقط صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على شعب صامت. على شعب جائع. على شعب مريض. على شعب خائف.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الفصل الثالث: من لا يستطيع أن يقول الحقيقة

المشهد التاسع: المستفيدون من الباطل

في مقهى صغير في شارع "التحرير"، كان "أبو رامي" يجلس على كرسي بلاستيكي. كان في الخمسينيات. كان يرتدي ثوبًا فاخرًا. كان على يده ساعة ذهبية. كان على الطاولة أمامه هاتف حديث. كان يرتشف الشاي. كان ينظر إلى المارة.

كان أبو رامي من "المستفيدين". كان يعرف ذلك. كان يعرف أن كل شيء تغير. كان يعرف أن هناك حربًا. كان يعرف أن هناك جوعًا. كان يعرف أن هناك موتًا. لكنه كان يعرف أيضًا أن هناك فرصًا. فرصًا ذهبية. فرصًا لا تأتي إلا في الحروب.

قبل عشر سنوات، كان أبو رامي موظفًا بسيطًا. كان راتبه لا يكفي. كان يعيش في بيت صغير. كان يعرف معنى الجوع. كان يعرف معنى الخوف. لكنه الآن... الآن كان يملك ثلاثة محلات. كان يملك عقارات. كان يملك أموالًا في البنوك. كان يملك كل شيء.

كيف؟ لأنه فهم اللعبة. لأنه عرف كيف يتكيف. لأنه عرف كيف يستفيد. عندما جاءت المليشيا، لم يقاوم. عندما جاء المشرف، لم يعترض. عندما طلبوا منه "ضرائب"، دفع. عندما طلبوا منه "تبرعات"، تبرع. عندما طلبوا منه "دعمًا"،

دعم. لكنه في المقابل، أخذ. أخذ "تسهيلات". أخذ "إعفاءات". أخذ "عقودًا". أخذ "أراضي". أخذ كل شيء.

في المقهى، جاء رجل. كان يعرفه. كان تاجرًا مثله. لكنه كان من النوع الآخر. من النوع الذي يتكلم. من النوع الذي يعترض. من النوع الذي يسأل. جلس. قال:

—يا أبو رامي. كيف حالك؟

قال:

—الحمد لله. تمام.

قال:

—سمعت أنك أخذت عقد توريد للمستشفيات.

قال:

—نعم. الحمد لله.

قال:

—وكيف أخذته؟

قال:

—قدمت عرضًا. قبلوه.

قال:

—عرضًا؟ أم "تبرعًا"؟

صمت أبو رامي.

قال:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أقصد أنك دفعت. دفعت للمشرف. دفعت للسلالة. دفعت لتأخذ العقد. ثم بعت الدواء بأسعار مرتفعة. ثم ربحت. ربحت من دم الناس. ربحت من مرض الناس. ربحت من جوع الناس.

قال:

—هذا كلام غير صحيح.

قال:

— كلام صحيح. الكل يعرف .الكل يعرف أنك من المستفيدين. الكل يعرف أنك تكسب من الحرب. الكل يعرف أنك...

قال:

—اسكت.

صمت.

في المقهى، كان هناك آخرون. كانوا يسمعون. لكنهم لم يتكلموا. كانوا يعرفون. كانوا يعرفون أن أبا رامي من المستفيدين. كانوا يعرفون أنه يكسب من الحرب. كانوا يعرفون أنه لا يستطيع أن يقول الحقيقة. لأنه لو قالها، لخسر كل شيء.

قال أبو رامي:

—اسمع. أنا لا أستفيد. أنا فقط أعمل. أنا فقط أتاجر. أنا فقط أعيش. إذا كانت الحرب جعلتني أكسب، فهذا ليس ذنبي. هذا ذنب الحرب.

قال الآخر:

—لا. هذا ذنبك. لأنك اخترت. اخترت أن تكسب. اخترت أن تتكيف. اخترت أن تصمت. اخترت أن تكون من المستفيدين. كان بإمكانك أن ترفض. كان بإمكانك أن تقاوم. كان بإمكانك أن تتكلم. لكنك اخترت. اخترت المال. اخترت الحياة. اخترت...

قال:

—اخترت ماذا؟ اخترت أن أعيش؟ اخترت أن أطعم أولادي؟ اخترت أن أحمي عائلتي؟ هل هذا جريمة؟

قال:

—لا. لكن الجريمة أن تكسب من دم الآخرين. الجريمة أن تبيع ضميرك. الجريمة أن تكون من المستفيدين. الجريمة أن تسمي الباطل حقًا. الجريمة أن تصمت.

صمت أبو رامي.

قال:

—أنا لا أصمت. أنا فقط... أنا فقط لا أتكلم.

قال:

—هذا هو الصمت.

خرج الرجل. جلس أبو رامي. وحده. على الكرسي. نظر إلى الشارع. كان الشارع مليئًا. كان هناك فقراء. كان هناك جائعون. كان هناك مرضى. كان هناك موتى. لكنه كان يجلس. في المقهى. يرتشف الشاي. ينظر إلى الساعة الذهبية. يعرف أن كل شيء على ما يرام. بالنسبة له.

قال لنفسه:

—أنا لا أستفيد. أنا فقط أعيش. أنا فقط أتكيف. أنا فقط...

لكنه كان يعرف. كان يعرف أنه يستفيد. كان يعرف أنه يكسب. كان يعرف أنه من الذين لا يستطيعون أن يقولوا الحقيقة. لأنه لو قالها، لخسر. لخسر المال. لخسر العقارات. لخسر كل شيء.

في الزاوية، كان هناك تلفاز. كان يعرض "المسيرة". كان هناك هتافات. كان هناك شعارات. كان هناك "الموت لأمريكا". كان هناك "لعنة على اليهود". كان هناك "النصر للإسلام."

نظر أبو رامي. ابتسم. ابتسامة ساخرة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل هذا كذب. لكنه كان يعرف أيضًا أن الكذب مربح. وأن الحقيقة مكلفة. وأن الصمت ذهب.

المشهد العاشر: أصحاب العقارات والأموال

في حي "حدة"، حيث العمارات الحديثة والفلل الفاخرة، كان "الحاج عبدالوهاب" يجلس في مكتبه. كان في الستينيات. كان يرتدي بدلة فاخرة.

كان على مكتبه هاتف. كان على الجدار شهادة "رجل أعمال". كان على الأرض سجاد فارسي. كان في الزاوية مكيف هواء.

كان الحاج عبدالوهاب من "أصحاب العقارات والأموال". كان يملك خمس عمارات. كان يملك ثلاث فلل. كان يملك محلات تجارية. كان يملك أراضي. كان يملك كل شيء.

لكن في ذلك اليوم، كان قلقًا. كان هناك خبر. كان هناك "قرار" جديد. كان هناك "ضريبة" جديدة. كان هناك "جباية" جديدة. كان هناك شيء جديد. وكان يعرف أن كل جديد يعني المزيد من المال. المزيد من الدفع. المزيد من الخوف.

دخل سكرتيره. قال:

—يا حاج. جاء مشرف. يريد أن يراك.

قال:

—من؟

قال:

—أبو ياسر. من مكتب السلالة.

قال:

—دعه يدخل.

دخل رجل. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان وجهه قاسيًا. كان اسمه "أبو ياسر."

قال:

—يا حاج عبدالوهاب. كيف حالك؟

قال:

—الحمد لله. تمام.

قال:

—سمعت أنك تملك عمارات في حدة.

قال:

—نعم. الحمد لله.

قال:

—نحتاج واحدة.

قال:

—لماذا؟

قال:

—المسيرة تحتاج. سنستخدمها. لمكتب. للمشرفين. للضيوف.

قال:

—لكنها عمارتي. أؤجرها. أعيش من إيجارها.

قال:

—نعرف. لهذا سنشتريها.

قال:

—بكم؟

قال:

—بعشرة ملايين.

قال:

—عشرة ملايين؟ العمارة تساوي مئة مليون. على الأقل.

قال:

—نعرف. لكن هذا سعرنا. عشرة ملايين. أو لا شيء.

صمت الحاج عبدالوهاب.

قال:

—لا. لن أبيع.

قال:

—إذن، سنأخذها.

قال:

—كيف؟

قال:

—بالقوة. بالقانون. بالقرار. هذه العمارة أصبحت "أوقاف". أوقاف للمسيرة. لا يمكنك أن تبيع. لا يمكنك أن تؤجر. لا يمكنك أن تفعل شيئًا. فقط، خذ العشرة ملايين. واذهب.

صمت الحاج عبدالوهاب.

قال:

—أعطني وقتًا.

قال:

—عندك يوم واحد. غدًا سآتي. إذا وافقت، الملايين في يدك. إذا رفضت، العمارة لنا. وأنت... لا شيء.

خرج.

جلس الحاج عبدالوهاب. في مكتبه. نظر إلى الشهادة على الجدار. نظر إلى السجاد. نظر إلى المكيف. كان كل شيء فاخرًا. كان كل شيء جميلًا. لكنه كان يعرف أن كل شيء سينتهي. كان يعرف أن المليشيا تأخذ. تأخذ كل شيء. تأخذ الأموال. تأخذ العقارات. تأخذ الأراضي. تأخذ الحياة.

في الصباح، جاء أبو ياسر.

قال:

—قررت؟

قال الحاج عبدالوهاب:

—نعم.

قال:

—ماذا؟

قال:

—سأبيع.

قال:

—ممتاز. الملايين في يدك.

قال:

—لكن ليس لأنني أريد. لأنني لا أستطيع. لأنكم أقوى. لأنكم تأخذون. لأنكم تسرقون. لأنكم...

صمت. لم يكمل.

أخذ الملايين. خرج من المكتب. لم ينظر إلى الوراء. لم يستطع. كان يعرف أن العمارة ذهبت. كان يعرف أن الأموال ذهبت. كان يعرف أن كل شيء ذهب.

في الخارج، كان الشارع. كان هناك فقراء. كان هناك جائعون. كان هناك مرضى. لكنه كان يمشي. في الشارع. بعشرة ملايين. في يده. لا تكفي. لا تكفي لشراء عمارة. لا تكفي لشراء كرامة. لا تكفي لشراء حقيقة.

قال لنفسه:

—أنا لا أستطيع أن أقول الحقيقة. لأنني لو قلت، سيأخذون كل شيء. سيأخذون الباقي. سيأخذون حياتي. لهذا أصمت. لهذا أتكيف. لهذا أدفع. لهذا...

في الزاوية، كان هناك مسجد. كان هناك أذان. كان هناك صلاة. كان هناك "الله أكبر". لكنه كان يعرف أن "الله أكبر" أصبحت شعارًا. أصبحت سلاحًا. أصبحت كذبة.

في حي "شعوب"، كان "الأستاذ فؤاد" يجلس في غرفته. كان في الأربعينيات. كان مدرسًا. كان يحب التعليم. كان يحب الطلاب. كان يحب وطنه. لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع أن يتكلم.

قبل ثلاث سنوات، كان الأستاذ فؤاد من الذين يتكلمون. كان يكتب. كان يعترض. كان يسأل. كان يقول: "هذا ظلم". كان يقول: "هذا فساد". كان يقول: "هذا كذب."

ثم جاء المشرف. قال:

—يا أستاذ فؤاد. أنت تتكلم كثيرًا.

قال:

—أنا أتكلم في الحق.

قال:

—لا. أنت تتكلم في السياسة. هذا ممنوع.

قال:

—لكنني...

قال:

—اسمع. أنت مدرس. لك راتب. لك عائلة. لك أولاد. إذا استمررت في الكلام، سنقطع راتبك. سنفصلك. سنعتقلك. سنفعل بك ما نريد.

صمت الأستاذ فؤاد.

في ذلك اليوم، كان يجلس في غرفته. كان يفكر. كان يعرف أنه صمت. كان يعرف أنه استسلم. كان يعرف أنه "مسكوه من لقمة العيش". كان يعرف أنه لا يستطيع أن يقول الحقيقة. لأنه لو قالها، لخسر الراتب. لخسر العمل. لخسر العائلة.

دخلت زوجته. قالت:

—ماذا تفعل؟

قال:

—أفكر.

قالت:

—في ماذا؟

قال:

—في كل شيء. في المدرسة. في الطلاب. في البلد. في...

قالت:

—لا تفكر كثيرًا. ستتعب.

قال:

—أنا متعب بالفعل.

قالت:

—لماذا؟

قال:

—لأنني صامت. لأنني لا أستطيع أن أتكلم. لأنني...

صمتت.

قالت:

—اسمع. أنا أعرف. أعرف أنك تريد أن تتكلم. أعرف أنك تريد أن تقول الحقيقة. لكنك لا تستطيع. لأنك لو تكلمت، سنخسر كل شيء. سنخسر البيت. سنخسر الطعام. سنخسر الأولاد. لهذا تصمت. لهذا...

قال:

—لكن الصمت يقتلني.

قالت:

—والكلام سيقتلنا جميعًا.

صمت الأستاذ فؤاد.

في الصباح، ذهب إلى المدرسة. كان هناك طلاب. كانوا ينتظرون. كانوا يريدون أن يتعلموا. كانوا يريدون أن يعرفوا. لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع أن يعلمهم الحقيقة. كان يعرف أنه يجب أن يدرسهم "المنهج". "منهج المسيرة". "منهج السلالة". "منهج الكذب."

قال لطالب:

—يا سامي. ماذا تريد أن تصبح؟

قال سامي:

—أريد أن أصبح مهندسًا.

قال:

—جيد. لكن... هل تعرف من أنت؟

قال سامي:

—أنا يمني.

قال:

—ومن هو اليمني؟

قال سامي:

—اليمني هو... هو...

صمت.

قال الأستاذ فؤاد:

—اليمني هو من يعيش في اليمن. اليمني هو من يحب اليمن. اليمني هو من...

توقف. كان يعرف أن هذا ليس الجواب. كان يعرف أن الجواب الحقيقي هو: "اليمني هو من يقاوم". "اليمني هو من يتكلم". "اليمني هو من لا يصمت". لكنه لم يستطع أن يقوله.

في نهاية اليوم، عاد إلى بيته. جلس في غرفته. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة. صورة اليمن. كانت قديمة. كانت جميلة. كانت حرة.

قال لنفسه:

—أنا لا أستطيع أن أقول الحقيقة. لأنني مسكوه من لقمة العيش. لأنني خفت. لأنني استسلمت. لكن... لكن هناك أمل. هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.

في الخارج، كانت الشمس تغرب. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على شعب صامت. لكنها كانت تشرق. وكان هناك أمل.

المشهد الثاني عشر: من يمشي مع القوي

في شارع "الستين"، كان "أبو ناصر" يقف أمام محله. كان في الثلاثينيات. كان يبيع الملابس. كان يحب التجارة. كان يحب الحياة. لكنه كان يعرف أن الحياة تغيرت. كان يعرف أن هناك قويًا. كان يعرف أن هناك ضعيفًا. وكان يعرف أنه اختار. اختار أن يمشي مع القوي.

قبل خمس سنوات، كان أبو ناصر من الذين يعترضون. كان يقول: "هذا ظلم". كان يقول: "هذا فساد". ثم جاء المشرف. قال:

—يا أبو ناصر. أنت تعترض كثيرًا.

قال:

—أنا أتكلم في الحق.

قال:

—لا. أنت تتكلم في السياسة. هذا ممنوع.

قال:

—لكنني...

قال:

—اسمع. أنت تاجر. لك محل. لك عائلة. لك أولاد. إذا استمررت في الاعتراض، سنغلق محلك. سنأخذ بضاعتك. سنفعل بك ما نريد.

صمت أبو ناصر.

في ذلك اليوم، كان يقف أمام محله. كان يعرف أنه اختار. اختار أن يمشي مع القوي. اختار أن يصمت. اختار أن يتكيف. اختار أن يكون من الذين لا يقولون الحقيقة.

جاء رجل. كان يعرفه. كان جارًا. كان من الذين ما زالوا يتكلمون. قال:

—يا أبو ناصر. كيف حالك؟

قال:

—الحمد لله. تمام.

قال:

—سمعت أنك أصبحت من "المشرفين."

قال:

—لا. أنا فقط تاجر.

قال:

—تاجر؟ أم "مشرف"؟

قال:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أقصد أنك تمشي معهم. تحضر مسيراتهم. تدفع ضرائبهم. تمدحهم. تصفق لهم. أنت من الذين يمشون مع القوي.

صمت أبو ناصر.

قال:

—أنا لا أمشي معهم. أنا فقط... أنا فقط أعيش.

قال:

—هذا هو المشي مع القوي.

قال:

—لا. المشي مع القوي هو أن تسكت. أنا لا أسكت. أنا فقط... أنا فقط لا أتكلم.

قال:

—هذا هو السكوت.

صمت أبو ناصر.

قال:

—اسمع. أنا أعرف. أعرف أنك تريد أن تتكلم. أعرف أنك تريد أن تقول الحقيقة. لكنك لا تستطيع. لأنك لو تكلمت، ستخسر المحل. ستخسر البضاعة. ستخسر كل شيء. لهذا تمشي مع القوي. لهذا...

قال:

—لكن هذا ليس صحيحًا. أنا لا أمشي معهم. أنا فقط...

قال:

—أنت تمشي معهم. لأنك تحضر مسيراتهم. لأنك تدفع ضرائبهم. لأنك تصفق لهم. لأنك...

قال:

—اسكت.

صمت.

في المحل، كانت هناك ملابس. كانت هناك أقمشة. كانت هناك ألوان. لكنه كان يعرف أن كل شيء أصبح باهتًا. أصبح رماديًا. أصبح كذبة.

قال لنفسه:

—أنا لا أمشي مع القوي. أنا فقط أتكيف. أنا فقط أعيش. أنا فقط...

لكنه كان يعرف. كان يعرف أنه يمشي مع القوي. كان يعرف أنه من الذين لا يقولون الحقيقة. كان يعرف أنه من الذين لا يستطيعون أن يتكلموا.

في الخارج، كان الشارع. كان هناك مسيرة. كان هناك هتافات. كان هناك شعارات. كان هناك "الموت لأمريكا". كان هناك "لعنة على اليهود". كان هناك "النصر للإسلام."

نظر أبو ناصر. لم يقل شيئًا. فقط، خرج من المحل. مشى نحو المسيرة. انضم إليها. رفع يده. هتف. صفق. كان يعرف أن هذا كذب. لكنه كان يعرف أيضًا أن هذا هو الطريق الوحيد للبقاء. للبقاء حيًا. للبقاء آمنًا. للبقاء...

في الزاوية، كان هناك طفل. كان في الثامنة. كان ينظر إلى المسيرة. كان ينظر إلى أبيه. كان ينظر إلى الهتافات. كان ينظر إلى الشعارات. كان يعرف أن هناك شيئًا خطأ. لكنه لم يكن يعرف ماذا. كان يعرف فقط أن أباه صامت. كان يعرف فقط أن أباه يمشي مع القوي. كان يعرف فقط أن أباه لا يقول الحقيقة.

قال الطفل لنفسه:

—لماذا أبي يمشي معهم؟ لماذا لا يتكلم؟ لماذا لا يقول الحقيقة؟

لم يجب. لم يكن هناك جواب. فقط، مسيرة. فقط، هتافات. فقط، صمت.

الباب الثاني: الانتهاكات
الفصل الرابع: البنات في السجون

المشهد الثالث عشر: قضية انتصار الحمادي

في شقة صغيرة في حي "الجراف"، كانت "انتصار" تجلس أمام المرآة. كانت في الخامسة والعشرين. كانت جميلة. كانت تحلم. كانت تريد أن تعيش. كانت تريد أن تتزوج. كانت تريد أن تبني بيتًا. كانت تريد أن تنجب أطفالًا. كانت تريد أن تكون حرة.

لكن في ذلك اليوم، كانت تبكي. كانت تبكي لأنها كانت تعرف. كانت تعرف أن حياتها انتهت. كانت تعرف أن اسمها سيُكتب في السجلات. كانت تعرف أن صورتها ستُنشر. كانت تعرف أن كل شيء سينتهي. كل ذلك لأنها رفضت أن تكون عاهرة لمن يسمون أنفسهم أنصار الله؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

قبل أسبوع، كانت في السوق. كانت تشتري خضارًا. كانت تبتسم للبائع. كانت تدفع. ثم عادت إلى بيتها. لم تفعل شيئًا. لم تقل شيئًا. لم تلتقِ بأحد. لكن في صباح اليوم التالي، كانت هناك سيارة أمام البيت. كان هناك رجال. كانوا يحملون بنادق. كانوا يرتدون ثيابًا عسكرية. كانوا يقولون:

—أنتِ مطلوبة.

قالت:

—لماذا؟

قالوا:

—لا تسألي. تعالي.

أخذوها.

في الزنزانة، كانت جالسة. على الأرض. كانت باردة. كانت رطبة. كانت مظلمة. كان هناك ضوء واحد. كان هناك سجادة. كان هناك دلو. كان هناك صمت.

جاء رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنتِ انتصار الحمادي؟

قالت:

—نعم.

قال:

—أنتِ متهمة بالدعارة.

صمتت. لم تصدق.

قالت:

—ماذا؟

قال:

—الدعارة. الفسق. الفجور. أنتِ متهمة.

قالت:

—لكنني لم أفعل شيئًا. أنا شريفة. أنا...

قال:

—لا نتكلم. عندنا أدلة.

قالت:

—أي أدلة؟

قال:

—صور. رسائل. شهود.

قالت:

—أي صور؟ أي رسائل؟ أي شهود؟ أنا لم...

قال:

—اسكتي.

صمتت.

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانت هناك تهديدات. كانوا يقولون:

—اعترفي. اعترفي بالدعارة. وإلا...

قالت:

—أعترف بماذا؟ أنا بريئة.

قالوا:

—لن تخرجي. لن تري النور. ستظلين هنا. إلى الأبد.

صمتت.

في الزنزانة، كانت هناك نساء أخريات. كن يجلسن. كن يبكين. كن يعرفن أن لا أحد سيأتي. كن يعرفن أن لا أحد سيسمع. كن يعرفن أن كل شيء انتهى.

قالت امرأة:

—أنا هنا منذ سنة. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قالت انتصار:

—لماذا نحن هنا؟

قالت المرأة:

—لأننا نساء. لأننا ضعيفات. لأنهم يستطيعون. لأنهم...

صمتت.

في الخارج، كانت هناك حملة. كانت هناك "قضية انتصار الحمادي". كانت هناك صور. كانت هناك أسماء. كانت هناك قصص. لكنها لم تكن قصتها. كانت قصة صنعوها. كانت قصة كاذبة. كانت قصة لتغطية شيء آخر.

في المحكمة، بعد شهور، حكمت. كانت الجلسة سرية. لم يكن هناك محامٍ. لم يكن هناك شهود. لم يكن هناك عدالة. فقط، قاضٍ. فقط، ملف. فقط، حكم.

قال القاضي:

—انتصار الحمادي. أنتِ مذنبة بالدعارة. حكمك: السجن سنة. مع الأشغال الشاقة.

صمتت انتصار.

في الزنزانة، عادت. جلست. على الأرض. نظرت إلى الجدار. كان هناك شقوق. كان هناك رطوبة. كان هناك صمت. كان هناك موت.

قالت لنفسها:

—أنا بريئة. أنا شريفة. أنا لم أفعل شيئًا. لكنهم... لكنهم أقوى. لكنهم كذبوا. لكنهم...

في الخارج، كان اسمها في كل مكان. كانت صورتها في كل هاتف. كانت قصتها في كل مجلس. لكنها لم تكن قصتها. كانت قصة صنعوها. كانت قصة لتشويهها. كانت قصة لتدميرها.

في الزاوية، كانت هناك مرآة. كانت مكسورة. نظرت انتصار إلى نفسها. كانت شاحبة. كانت متعبة. كانت مكسورة. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أنها بريئة. كانت تعرف أن الحقيقة ستظهر. كانت تعرف أن هناك يومًا. يومًا ستخرج فيه. يومًا ستتكلم فيه. يومًا ستقول:

—أنا بريئة. أنا شريفة. أنا ضحية. أنا يمنية. أنا حرة.

المشهد الرابع عشر: البنات تحت الأرض

في قبو مظلم تحت أحد المباني في صنعاء، كانت هناك زنازين. لم تكن زنازين عادية. كانت زنازين تحت الأرض. لا نوافذ. لا ضوء. لا هواء. فقط، جدران إسمنتية. فقط، أبواب حديدية. فقط، صمت.

في إحدى الزنازين، كانت "ريم" تجلس. كانت في التاسعة عشرة. كانت طالبة. كانت تحب الحياة. كانت تحب القراءة. كانت تحب الحلم. لكنها الآن كانت في قبو. كانت في زنزانة. كانت في جحيم.

قبل شهر، كانت في الجامعة. كانت في محاضرة. كانت تسمع. كانت تكتب. ثم جاء رجل. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو سامي". كان مشرف الجامعة.

قال:

—أنتِ ريم؟

قالت:

—نعم.

قال:

—تعالي معي.

قالت:

—لماذا؟

قال:

—لا تسألي. تعالي.

أخذها.

في القبو، كانت هناك غرفة. كانت هناك كراسي. كانت هناك أجهزة. كانت هناك كابلات. كانت هناك دماء جافة على الجدران.

قال أبو سامي:

—أنتِ متهمة بالتخابر.

قالت:

—ماذا؟

قال:

—التخابر. مع الأعداء. مع السعودية. مع أمريكا. مع...

قالت:

—لكنني لم أفعل شيئًا. أنا طالبة. أنا...

قال:

—اسكتي.

صمتت.

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانوا يقولون:

—اعترفي. اعترفي بالتخابر. وإلا...

قالت:

—أعترف بماذا؟ أنا بريئة.

قالوا:

—لن تخرجي. لن تري النور. ستظلين هنا. تحت الأرض. إلى الأبد.

صمتت.

في الزنزانة، كانت هناك نساء أخريات. كن يجلسن. كن يبكين. كن يعرفن أن لا أحد سيأتي. كن يعرفن أن لا أحد سيسمع. كن يعرفن أن كل شيء انتهى.

قالت امرأة:

—أنا هنا منذ سنتين. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قالت ريم:

—لماذا نحن هنا؟

قالت المرأة:

—لأننا نساء. لأننا ضعيفات. لأنهم يستطيعون. لأنهم...

صمتت.

في القبو، كانت هناك غرف أخرى. كانت هناك بنات أخريات. كن من أعمار مختلفة. كن من خلفيات مختلفة. لكنهن كن جميعًا في نفس المكان. كن جميعًا ضحايا. كن جميعًا صامتات.

في إحدى الغرف، كانت هناك "سلمى". كانت في السابعة عشرة. كانت قد اختطفت من الشارع. كانت قد أخذت إلى هنا. كانت قد عذبت. كانت قد هتكت. كانت قد دمرت.

قالت سلمى:

—لماذا أنا هنا؟ ماذا فعلت؟ أنا لم أفعل شيئًا. أنا فقط كنت في الشارع. أنا فقط كنت...

صمتت.

في الخارج، كانت هناك حملات. كانت هناك "مكافحة الفساد". كانت هناك "مكافحة الدعارة". كانت هناك "مكافحة التخابر". لكنها لم تكن حملات. كانت غطاء. كانت غطاء لاختطاف البنات. كانت غطاء لانتهاك الأعراض. كانت غطاء لسرقة الشرف.

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة ريم. في التاسعة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرة. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط ذكرى. فقط ألم. فقط صمت.

المشهد الخامس عشر: الابتزاز الجنسي

في مكتب صغير في أحد المباني الحكومية في صنعاء، كان "أبو راكان" يجلس. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان

على مكتبه هاتف. كان على الجدار صورة "السيد". كان على الأرض سجاد. كان في الزاوية مكيف.

كان أبو راكان من "المشرفين". كان يعرف كل شيء. كان يعرف من يحتاج. من يريد. من يستطيع. كان يعرف كيف يبتز. كان يعرف كيف يضغط. كان يعرف كيف يأخذ.

في ذلك اليوم، دخلت امرأة. كانت في الأربعينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل حقيبة. كانت تبكي. كانت اسمها "أم خالد."

قالت:

—يا سيدي. أنا محتاجة.

قال:

—ماذا تحتاجين؟

قالت:

—ابني. ابني في السجن. منذ ثلاثة أشهر. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا.

قال:

—وماذا تريدين؟

قالت:

—أريد أن أخرج ابني. أريد أن يعود إلى بيته. أريد...

قال:

—يمكن. لكن...

قالت:

—لكن ماذا؟

قال:

—لكن هناك شروط.

قالت:

—ما هي؟

قال:

—هناك شيء. أنتِ جميلة. أنتِ في الأربعينيات. لكنك جميلة.

صمتت.

قال:

—إذا أردتِ أن يخرج ابنك. يجب أن... تتعاوني.

قالت:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أقصد أن... تقضين ليلة. معي. أو مع من أقول. وأنتِ تعرفين.

صمتت. كانت تعرف. كانت تعرف ما يعنيه. كانت تعرف أن هذا هو الثمن. كانت تعرف أن شرفها هو الثمن.

قالت:

—لا. لا أستطيع. أنا متزوجة. أنا...

قال:

—لا يهم. ابنك في السجن. ينتظر. يموت. إذا أردتِ أن يعيش. يجب أن تدفعي. والشرف هو العملة الوحيدة.

صمتت.

في الخارج، كانت المرأة. كانت تبكي. كانت تعرف أن لا أحد سيساعدها. كانت تعرف أن القانون أصبح سلاحًا. كانت تعرف أن العدالة أصبحت سلعة. كانت تعرف أن شرفها هو الثمن.

في الأسبوع التالي، عادت. قالت:

—موافقة.

قال:

—ممتاز. الليلة. ابنك سيخرج غدًا.

في الليلة، كانت في غرفة. كانت مع رجل. كانت تبكي. كانت تعرف أن هذا ليس زواجًا. هذا ليس حبًا. هذا ليس شيئًا. هذا اغتصاب. هذا ابتزاز. هذا جريمة.

في الصباح، خرج ابنها. عاد إلى البيت. لم يعرف ماذا فعلت أمه. لم يعرف الثمن. لم يعرف شيئًا.

جلست أم خالد. في غرفتها. نظرت إلى المرآة. كانت شاحبة. كانت متعبة. كانت مكسورة. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أنها فعلت ما يجب. كانت

تعرف أنها أنقذت ابنها. لكنها كانت تعرف أيضًا أن شرفها ذهب. ذهب إلى الأبد.

قالت لنفسها:

—أنا فعلت ما يجب. أنا أنقذت ابني. لكن... لكن من سينقذني؟ من سينقذ شرفي؟ من سينقذ...

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة زوجها. كان قد مات. كان قد مات منذ سنوات. كانت تنظر إلى الصورة. كانت تقول:

—سامحني. سامحني لأنني فعلت ما فعلت. سامحني لأنني...

لم تكمل. لم تستطع. فقط، دموع. فقط، ألم. فقط، صمت.

المشهد السادس عشر: السمعة كسلاح

في حي "الروضة"، كانت "فاطمة" تجلس في غرفتها. كانت في الثامنة عشرة. كانت طالبة. كانت تحب الحياة. كانت تحب الحلم. كانت تحب المستقبل. لكن في ذلك اليوم، كانت تبكي.

قبل أسبوع، كانت في السوق. كانت تشتري. كانت تبتسم. ثم رأت رجلًا. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو ياسر". كان مشرف الحي.

قال:

—أنتِ فاطمة؟

قالت:

—نعم.

قال:

—أنتِ جميلة.

صمتت.

قال:

—أريد أن أتزوجك.

قالت:

—أنا مخطوبة.

قال:

—لا يهم. افسخي الخطوبة. وتزوجيني.

قالت:

—لا أستطيع. أنا أحب خطيبي. أنا...

قال:

—إذن، ستندمين.

خرج.

في الأسبوع التالي، كانت هناك إشاعات. كانت هناك كلمات. كانت هناك همسات. كانوا يقولون:

—فاطمة... فاطمة تفعل كذا. فاطمة تفعل كذا. فاطمة...

لم تفعل شيئًا. لكن الكلام كان كافيًا. كان كافيًا لتدمير سمعتها. كان كافيًا لتدمير حياتها.

جاء خطيبها. قال:

—سمعت كلامًا.

قالت:

—أي كلام؟

قال:

—عنك. عن شرفك. عن...

قالت:

—هذا كذب. هذا كله كذب. أنا بريئة. أنا...

قال:

—لا أعرف. لكنني لا أستطيع أن أتزوج فتاة... فتاة...

صمت.

قالت:

—فتاة ماذا؟

قال:

—فتاة... سمعتها ليست جيدة.

صمتت.

في الأسبوع التالي، جاء أبو ياسر. قال:

—رأيتِ؟ قلت لك. ستندمين. الآن، لا أحد سيتزوجك. لا أحد سيحبك. لا أحد...

قالت:

—هذا كذب. هذا كله كذب. أنا بريئة.

قال:

—لا يهم. السمعة هي كل شيء. والسمعة... السمعة أصبحت في يدي.

صمتت.

في الخارج، كانت الإشاعات. كانت الكلمات. كانت الهمسات. كانت في كل مكان. في السوق. في المدرسة. في الجامعة. في البيت. في كل مكان.

قالت فاطمة لنفسها:

—أنا بريئة. لكن... لكن السمعة لا ترحم. السمعة لا تسامح. السمعة تقتل. السمعة...

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة فاطمة. في الثامنة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرة. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط، ذكرى. فقط، ألم. فقط، صمت.

في النهاية، لم تتزوج فاطمة. لم تخرج من بيتها. لم تتكلم. لم تفعل شيئًا. فقط، جلست. في غرفتها. كانت تعرف أن حياتها انتهت. كانت تعرف أن سمعتها ذهبت. كانت تعرف أن كل شيء ذهب.

قالت لأمها:

—لماذا؟ لماذا أنا؟ ماذا فعلت؟

قالت أمها:

—لم تفعلي شيئًا. فقط، كنتِ فتاة. فقط، كنتِ جميلة. فقط، كنتِ ضعيفة.

صمتت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على بنات في السجون. على بنات تحت الأرض. على بنات مبتزات. على بنات مسروقات الشرف. على بنات صامتات.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

في قلب كل بنت، كان هناك صوت. صوت يقول:

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

المشهد السابع عشر: مداهمة البيوت

في حي "الروضة"، كانت الساعة تشير إلى الثانية فجرًا. كان الحي نائمًا. كانت النوافذ مغلقة. كانت الأبواب موصدة. كان الصمت يملأ الشوارع. لم يكن هناك صوت إلا صوت الكلاب الضالة وصوت الرياح.

في منزل صغير في نهاية الزقاق، كانت "أم سامي" نائمة. كانت في الخمسينيات. كانت ترتدي ثوب نومها. كان زوجها بجانبها. كانا نائمين. كانا يعيشان حياة بسيطة. كانا خائفين من كل شيء. من الجوع. من المرض. من المستقبل. لكنهما لم يكونا خائفين من الليلة. لم يكونا يعرفان أن الليلة كانت مختلفة.

في الساعة الثانية والربع، توقف طقم عسكري أمام البيت. كان الطقم أسود. كان عليه شعارات المليشيا. نزل منه مسلحون. كانوا ملثمين. كانوا يرتدون بزات عسكرية سوداء. لكنهم لم يكونوا رجالًا. كانوا نساء. نساء ملثمات. يرتدين السواد. يحملن البنادق. كانوا "الزينبيات."

قالت إحداهن:

—هذا البيت.

قالت أخرى:

—نعم. هذا البيت. فيه نساء. فيه رجال. فيه أشياء ممنوعة.

قالت الأولى:

—اقتحموا.

في الداخل، استيقظت أم سامي على صوت الباب. كان يُكسر. كان يُقتلع. كان يموت تحت وقع الأقدام. صرخت:

—من؟

لم يجب أحد.

دخلت الزينبيات. كن خمسًا. كن ملثمات. كن يحملن البنادق. كن يتحركن كالوحوش. قالت إحداهن:

—لا تتحركوا. ابقوا في أماكنكم.

قال زوج أم سامي:

—ماذا تريدون؟

قالت:

—نفتش. نبحث. عن أشياء. عن وثائق. عن ممنوعات.

قال:

—أي وثائق؟ أي ممنوعات؟ نحن أناس بسطاء. لا نملك شيئًا. لا نعرف شيئًا.

قالت:

—اسكت. لا تتكلم. سنفتش.

بدأت الزينبيات يفتشن الغرف. كن يفتشن الأدراج. كن يفتشن الخزائن. كن يفتشن الملابس. كن يفتشن كل شيء. كن يبعثرن كل شيء. كن يدمرن كل شيء.

في غرفة النوم، وجدت إحداهن خزانة. فتحتها. كانت فيها ملابس نسائية. كانت فيها ملابس داخلية .كانت فيها أشياء خاصة. أخذت إحداهن ثوبًا. قالت:

—هذا ثوب فاحش. هذا ثوب ممنوع. هذا ثوب...

قالت أم سامي:

—هذا ثوبي. هذا ثوب عادي. هذا...

قالت:

—اسكتي.

رمت الثوب على الأرض. داست عليه. قالت:

—كل شيء هنا ممنوع. كل شيء هنا فاحش. كل شيء هنا...

في الغرفة المجاورة، كانت هناك ابنتان. كانتا في العشرينيات. كانتا نائمتين. استيقظتا على الصراخ. فتحتا عيونهما. رأتا نساء ملثمات. رأتا بنادق. رأتا خوفًا.

قالت إحدى الزينبيات:

—من أنتن؟

قالت البنت الكبرى:

—نحن بنات هذا البيت.

قالت:

—بنات؟ أم عاهرات؟

صمتت البنت.

قالت:

—اسكتي. لا تتكلمي. سنفتشكن.

بدأت الزينبيات يفتشن البنات. كن يفتشن ملابسهن. كن يفتشن جيوبهن. كن يفتشن كل شيء. كن يلمسن كل شيء. كن يتحرشن.

قالت إحدى البنات:

—ماذا تفعلون؟ هذا حرام. هذا...

قالت الزينبية:

—هذا ليس حرام. هذا تفتيش. هذا...

قالت البنت:

—لكنكم تلمسون. تلمسون جسدي. هذا...

قالت:

—اسكتي. هذا ليس جسدك. هذا جسد المسيرة. هذا جسد السلالة. هذا...

صمتت البنت.

في الخارج، كان الجيران يسمعون. كانوا يسمعون الصراخ. كانوا يسمعون البكاء. كانوا يسمعون التكسير. لكنهم لم يتدخلوا. لم يستطيعوا. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن أي تدخل يعني الموت. يعني الاعتقال. يعني الاختفاء.

قال جار لجارته:

—سمعتِ؟

قالت:

—نعم. الزينبيات. في بيت أم سامي.

قال:

—لماذا؟

قالت:

—لا أعرف. لا أحد يعرف. ربما وثائق. ربما ممنوعات. ربما...

قال:

—لكنهم أناس بسطاء. لا يملكون شيئًا.

قالت:

—لا يهم. الزينبيات لا تسأل. الزينبيات تفعل. الزينبيات...

صمتت.

بعد ساعتين، خرجت الزينبيات. كن يحملن أكياسًا. كانت فيها ملابس. كانت فيها وثائق. كانت فيها أشياء. لكنهن كن يحملن شيئًا آخر. كن يحملن كرامة. كن يحملن شرفًا. كن يحملن حياة.

قالت إحدى الزينبيات:

—انتهينا.

قالت أخرى:

—نعم. هذا البيت انتهى. هؤلاء الناس انتهوا.

صعدن إلى الطقم. تحرك الطقم. اختفى في الظلام.

في البيت، جلست أم سامي. على الأرض. كانت تبكي. كانت ترتجف. كانت مكسورة. جاء زوجها. جلس بجانبها. قال:

—ماذا حدث؟

قالت:

—لا أعرف. لا أعرف. جاءوا. فتشوا. بعثروا. أخذوا. دمروا. لا أعرف.

قال:

—ماذا أخذوا؟

قالت:

—ملابس. وثائق. أشياء. لكنهم أخذوا شيئًا آخر. أخذوا كرامتنا. أخذوا شرفنا. أخذوا...

صمتت.

في الغرفة المجاورة، كانت البنتان. كانتا تبكيان. كانتا ترتجفان. كانتا تعرفان أن شيئًا حدث. لكنهما لم تكونا تعرفان ماذا. لم تكونا تعرفان أن الزينبيات لم يفتشن فقط. لم يبعثرن فقط. لم يأخذن فقط. لقد لمستا. لقد تحرشتا. لقد هتكتا.

قالت إحدى البنات:

—لماذا؟ لماذا فعلوا هذا؟ نحن لم نفعل شيئًا. نحن...

قالت الأخرى:

—لا أعرف. لا أعرف. لكنني أعرف أن هذا ليس تفتيشًا. هذا انتهاك. هذا...

صمتت.

في الخارج، كان الفجر يتسلل. كان الضوء يتسلل. كان الأمل يتسلل. لكن في هذا البيت، لم يكن هناك ضوء. كان هناك ظلام. كان هناك ألم. كان هناك صمت.

قالت أم سامي لنفسها:

—لماذا نحن؟ لماذا دائمًا نحن؟ نحن فقراء. نحن بسطاء. نحن لا نملك شيئًا. لماذا يأتون إلينا؟ لماذا يدمروننا؟ لماذا...

لم تجب. لم يكن هناك جواب. فقط، ظلام. فقط، ألم. فقط، صمت.

المشهد الثامن عشر: هتك الأعراض

في حي آخر، في "شعوب"، كانت "أم محمد" تجلس في غرفتها. كانت في الأربعينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان يبكي. كان جائعًا.

في ذلك اليوم، كانت هناك طرقات على الباب. كانت قوية. كانت عنيفة. كانت مرعبة.

قالت أم محمد:

—من؟

لم يجب أحد.
فتحت الباب. كانت هناك نساء ملثمات. كن خمسًا. كن يرتدين السواد. كن يحملن البنادق. كن "الزينبيات."
قالت إحداهن:
—أنتِ أم محمد؟
قالت:
—نعم.
قالت:
—نفتش.
قالت:
—لماذا؟
قالت:
—لا تسألي. نفتش.
دخلن. كن يتحركن كالوحوش. كن يفتشن كل شيء. كن يبعثرن كل شيء. كن يدمرن كل شيء.
في غرفة النوم، وجدت إحداهن صندوقًا. فتحته. كان فيه ملابس. كان فيه صور. كان فيه ذكرى.
قالت:
—ما هذا؟

قالت أم محمد:

—هذا صندوقي. هذا...

قالت:

—صور رجال؟ صور...

قالت:

—هذه صور زوجي. زوجي مات. منذ سنوات. هذه ذكرى.

قالت:

—ذكرى؟ أم وسيلة للفسق؟ أم...

قالت:

—لا. هذه ذكرى. هذه...

قالت:

—اسكتي.

أخذت الصندوق. رمته على الأرض. تناثرت الصور. تناثرت الذكرى. تناثر كل شيء.

في الغرفة المجاورة، كانت هناك بنت. كانت في السادسة عشرة. كانت نائمة. استيقظت على الصراخ. فتحت عينيها. رأت نساء ملثمات. رأت بنادق. رأت خوفًا.

قالت إحدى الزينبيات:

—من أنتِ؟

قالت البنت:

—أنا بنت أم محمد.

قالت:

—بنت؟ أم عاهرة؟

صمتت البنت.

قالت:

—اسكتي. لا تتكلمي. سنفتشك.

بدأت الزينبية تفتش البنت. فتحت ملابسها. لمست جسدها. تحركت يداها.

قالت:

—أنتِ جميلة. أنتِ...

قالت البنت:

—ماذا تفعلين؟ هذا حرام. هذا...

قالت:

—هذا ليس حرام. هذا تفتيش. هذا...

قالت البنت:

—لكنك تلمسين. تلمسين جسدي. هذا...

قالت:

—اسكتي. هذا ليس جسدك. هذا جسد المسيرة. هذا...

صمتت البنت. كانت تبكي. كانت ترتجف. كانت تعرف أن شيئًا حدث. لكنها لم تكن تعرف ماذا. لم تكن تعرف أن الزينبية لم تفتش فقط. لم تلمس فقط. لقد هتكت. لقد انتهكت. لقد دمرت.

في الخارج، كانت أم محمد تسمع. كانت تسمع بكاء ابنتها. كانت تسمع الصراخ. كانت تسمع كل شيء. لكنها لم تستطع أن تتحرك. كانت خائفة. كانت تعرف أن أي حركة تعني الموت. تعني الاعتقال. تعني الاختفاء.

قالت لنفسها:

—ابنتي. ابنتي. ماذا يفعلون بها؟ ماذا...

لم تجب. لم يكن هناك جواب. فقط، بكاء. فقط، ألم. فقط، صمت.

بعد ساعتين، خرجت الزينبيات. كن يحملن أكياسًا. كانت فيها ملابس. كانت فيها صور. كانت فيها أشياء. لكنهن كن يحملن شيئًا آخر. كن يحملن شرفًا. كن يحملن كرامة. كن يحملن حياة.

قالت إحدى الزينبيات:

—انتهينا.

قالت أخرى:

—نعم. هذا البيت انتهى. هؤلاء الناس انتهوا.

صعدن إلى الطقم. تحرك الطقم. اختفى في الظلام.

في البيت، جلست أم محمد. على الأرض. كانت تبكي. كانت ترتجف. كانت مكسورة. جاءت ابنتها. جلست بجانبها. قالت:

—أمي. ماذا حدث؟ ماذا فعلوا؟

قالت أم محمد:

—لا أعرف. لا أعرف. لكنني أعرف أن شيئًا حدث. شيئًا لا يمكن أن يعود. شيئًا...

صمتت.

في الخارج، كان الفجر يتسلل. كان الضوء يتسلل. لكن في هذا البيت، لم يكن هناك ضوء. كان هناك ظلام. كان هناك ألم. كان هناك صمت.

قالت البنت لنفسها:

—أنا لم أفعل شيئًا. أنا بريئة. لكن... لكنهم لم يفتشوا. لم يبحثوا. لقد لمستوني. لقد هتكوني. لقد...

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة البنت. في السادسة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرة. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط، ذكرى. فقط، ألم. فقط، صمت.

المشهد التاسع عشر: السرقة تحت مسمى الدين

في حي "الجراف"، كان "أبو خالد" يجلس في محله. كان في الخمسينيات. كان يبيع مواد غذائية. كان يحب التجارة. كان يحب الحياة. لكنه كان يعرف أن الحياة تغيرت. كان يعرف أن هناك "زينبيات". كان يعرف أن هناك "مداهمات". كان يعرف أن هناك "سرقة."

في ذلك اليوم، دخلت نساء ملثمات. كن خمسًا. كن يرتدين السواد. كن يحملن البنادق. كن "الزينبيات."

قالت إحداهن:

—أنت أبو خالد؟

قال:

—نعم.

قالت:

—نفتش. نبحث. عن أشياء. عن ممنوعات.

قال:

—أي ممنوعات؟ أنا أبيع مواد غذائية. لا أملك شيئًا. لا أعرف شيئًا.

قالت:

—اسكت. لا تتكلم. سنفتش.

بدأت الزينبيات يفتشن المحل. كن يفتشن الرفوف. كن يفتشن الصناديق. كن يفتشن كل شيء. كن يبعثرن كل شيء. كن يدمرن كل شيء.

في إحدى الزوايا، وجدت إحداهن صندوقًا. فتحته. كان فيه مال. كان فيه مدخرات. كان فيه رأس مال. قالت:

—ما هذا؟

قال أبو خالد:

—هذا مالي. هذا مدخراتي. هذا رأس مالي. هذا...

قالت:

—هذا مال محرم. هذا مال...

قال:

—لا. هذا مال حلال. هذا من تجارتي. هذا من عملي. هذا...

قالت:

—لا. هذا مال السلالة. هذا مال المسيرة. هذا...

أخذت الصندوق. وضعته في الكيس. قالت:

—هذا للمسيرة. هذا للجهاد. هذا...

قال:

—لكن هذا مالي. هذا...

قالت:

—اسكت. هذا ليس مالك. هذا ملك المسيرة. هذا ملك السلالة. هذا...

صمت أبو خالد.

في الغرفة المجاورة، كانت هناك زوجة أبو خالد. كانت في الأربعينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان يبكي. كان خائفًا.

قالت إحدى الزينبيات:

—أنتِ زوجة أبو خالد؟

قالت:

—نعم.

قالت:

—نفتش. نبحث. عن أشياء. عن ممنوعات.

قالت:

—أي ممنوعات؟ نحن أناس بسطاء. لا نملك شيئًا. لا نعرف شيئًا.

قالت:

—اسكتي. لا تتكلمي. سنفتش.

بدأت الزينبيات يفتشن الغرفة. كن يفتشن الأدراج. كن يفتشن الخزائن. كن يفتشن الملابس. كن يفتشن كل شيء.

في إحدى الزوايا، وجدت إحداهن صندوقًا. فتحته. كان فيه ذهب. كان فيه أسورة. كان فيه خواتم. كان فيه ذكرى. قالت:

—ما هذا؟

قالت زوجة أبو خالد:

—هذا ذهبي. هذا مهرى. هذا...

قالت:

—هذا ذهب محرم. هذا ذهب...

قالت:

—لا. هذا ذهبي. هذا حلال. هذا...

قالت:

—لا. هذا ذهب السلالة. هذا ذهب المسيرة. هذا...

أخذت الصندوق. وضعته في الكيس. قالت:

—هذا للمسيرة. هذا للجهاد. هذا...

قالت:

—لكن هذا ذهبي. هذا...

قالت:

—اسكتي. هذا ليس ذهبك. هذا ذهب المسيرة. هذا ذهب السلالة. هذا...

صمتت زوجة أبو خالد.

بعد ساعتين، خرجت الزينبيات. كن يحملن أكياسًا. كانت فيها أموال. كانت فيها ذهب. كانت فيها أشياء. لكنهن كن يحملن شيئًا آخر. كن يحملن كرامة. كن يحملن شرفًا. كن يحملن حياة.

قالت إحدى الزينبيات:

—انتهينا.

قالت أخرى:

—نعم. هذا المحل انتهى. هؤلاء الناس انتهوا.

صعدن إلى الطقم. تحرك الطقم. اختفى في الظلام.

في المحل، جلس أبو خالد. على الأرض. كان يبكي. كان يرتجف. كان مكسورًا. جاءته زوجته. جلست بجانبه. قالت:

—ماذا حدث؟ ماذا أخذوا؟

قال:

—أخذوا مالي. أخذوا ذهبك. أخذوا كل شيء.

قالت:

—لماذا؟ لماذا نحن؟ نحن لم نفعل شيئًا. نحن...

قال:

—لا أعرف. لا أعرف. لكنني أعرف أن هذا ليس تفتيشًا. هذا سرقة. هذا نهب. هذا...

صمت.

في الخارج، كان الفجر يتسلل. كان الضوء يتسلل. لكن في هذا المحل، لم يكن هناك ضوء. كان هناك ظلام. كان هناك ألم. كان هناك صمت.

قال أبو خالد لنفسه:

—لماذا؟ لماذا يأخذون؟ لماذا يسرقون؟ لماذا ينهبون؟ نحن لم نفعل شيئًا. نحن فقط... نحن فقط عشنا. نحن فقط عملنا. نحن فقط...

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة أبو خالد. في الخمسينيات. كان يبتسم. كان سعيدًا. كان حرًا. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط، ذكرى. فقط، ألم. فقط، صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على بيوت مداهمة. على أعراض يتم اغتصابها. على أموال مسروقة. على كرامات مدمرة. على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

المشهد العشرون: من يتكلم يُعتقل

في مقهى صغير في شارع "الزبيري"، كان "الأستاذ حمود" يجلس مع أصدقائه. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا متقاعدًا. كان يحب الكلام. كان يحب النقاش. كان يحب أن يقول ما في قلبه. لكنه كان يعرف أن الكلام أصبح خطرًا. كان يعرف أن النقاش أصبح جريمة. كان يعرف أن القلب أصبح سجنًا. في ذلك اليوم، كان يتحدث. كان يقول:

—الوضع صعب. الأسعار ارتفعت. الرواتب انقطعت. الناس جائعة. الأطفال يموتون. هذا ليس عدلًا. هذا ليس...

صمت فجأة. كان يعرف أنه قال الكثير. كان يعرف أن هناك من يسمع. كان يعرف أن هناك من يراقب. نظر حوله. كان هناك رجال. كانوا يشربون الشاي. كانوا يقرؤون الصحف. كانوا يبدون عاديين. لكنه كان يعرف. كان يعرف أنهم ليسوا عاديين.

قال صديقه:

—يا حمود. اسكت. لا تتكلم. إذا سمعوك...

قال حمود:

—وماذا سيفعلون؟ أنا رجل عجوز. أنا مدرس متقاعد. أنا لا أخاف.

قال صديقه:

—يجب أن تخاف. الجميع يخاف. الذين لا يخافون... يختفون.

صمت حمود.

في المساء، عاد إلى بيته. كان البيت صغيرًا. كان في حي "شعوب". كان فيه غرفة. كان فيه مطبخ. كان فيه حمام. كان فيه زوجته. كان فيه ابنه. كان فيه جوع.

دق الباب. دقًا قويًا. دقًا عنيفًا. دقًا مرعبًا.

قال حمود:

—من؟

لم يجب أحد.

فتح الباب. كان هناك رجال. كانوا يرتدون ثيابًا عسكرية. كانوا يحملون بنادق. كانوا ملثمين. كان اسمهم "الأمن والمخابرات."

قال أحدهم:

—أنت حمود؟

قال:

—نعم.

قال:

—تعال معنا.

قال:

—لماذا؟

قال:

—لا تسأل. تعال.

قال:

—لكنني...

قال:

—لا تتكلم. تعال.

أخذوه.

في الزنزانة، كان جالسًا. على الأرض. كان الظلام. كان الصمت. كان الخوف. كان السؤال. لماذا أنا هنا؟ ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟

جاء رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنت حمود؟

قال:

—نعم.

قال:

—أنت متهم بالتحريض.

قال:

—التحريض؟ أنا لم أحرض. أنا فقط قلت...

قال:

—قلت ماذا؟

قال:

—قلت إن الوضع صعب. قلت إن الناس جائعة. قلت إن...

قال:

—هذا تحريض. هذا تحريض على الدولة. هذا تحريض على المسيرة. هذا...

قال:

—لكنني قلت الحقيقة. الحقيقة ليست تحريضًا.

قال:

—الحقيقة؟ الحقيقة هي ما نقوله نحن. ليس ما تقوله أنت. أنت لا تحق لك أن تقول الحقيقة. أنت فقط تنفذ. أنت فقط تصمت. أنت فقط...

صمت حمود.

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانوا يقولون:

—اعترف. اعترف أنك عميل. اعترف أنك مرتزق. اعترف أنك...

قال:

—أعترف بماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا. أنا فقط قلت رأيي. أنا...

قالوا:

—الرأي ليس لك. الرأي لنا. أنت فقط... أنت فقط تصمت.

صمت.

في الزنزانة، كان هناك رجال آخرون. كانوا جالسين. كانوا يبكون. كانوا يعرفون أن لا أحد سيأتي. كانوا يعرفون أن لا أحد سيسمع. كانوا يعرفون أن كل شيء انتهى.

قال أحد السجناء:

—أنا هنا منذ سنة. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قال آخر:

—أنا هنا منذ ستة أشهر. أخذوني لأنني قلت كلمة. كلمة واحدة. عن "الرواتب". عن "الجوع". عن "الحق."

قال حمود:

—ماذا سيحدث لنا؟

قال السجين:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنبقى هنا. ربما سنموت. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت زوجته. كانت تنتظر. كانت تسأل. كانت تبحث. لكنها لم تجد شيئًا. فقط، صمت. فقط، خوف. فقط، ألم.

قالت لنفسها:

—حمود. يا حمود. لماذا تكلمت؟ لماذا قلت؟ لماذا...
في الزنزانة، كان حمود. كان يعرف. كان يعرف أنه اعتقل لأنه تكلم. لأنه قال الحقيقة. لأنه لم يصمت. لكنه كان يعرف أيضًا أنه لو عاد، سيتكلم مرة أخرى. لأنه لا يستطيع أن يصمت. لأنه لا يستطيع أن يخاف. لأنه لا يستطيع أن يموت صامتًا.

المشهد الحادي والعشرون: من يكتب يُعتقل

في شقة صغيرة في حي "حدة"، كان "الأستاذ فهد" يجلس أمام حاسوبه. كان في الثلاثينيات. كان صحفيًا. كان يحب الكتابة. كان يحب الحقيقة. كان يحب أن يوثق. لكنه كان يعرف أن الكتابة أصبحت خطرًا. كان يعرف أن الحقيقة أصبحت جريمة. كان يعرف أن التوثيق أصبح سجنًا.
في ذلك اليوم، كان يكتب. كان يكتب مقالًا. كان عنوانه: "الجوع في صنعاء... من يتحمل المسؤولية؟". كان يكتب عن الفقر. عن الجوع. عن الفساد. عن النهب. كان يكتب عن كل شيء.
أنهى المقال. قرأه. كان جيدًا. كان قويًا. كان حقيقيًا. ثم فتح "فيسبوك". نشر المقال. ثم أغلق الحاسوب. ثم ذهب إلى النوم.
في الصباح، استيقظ على صوت الباب. كان يُكسر. كان يُقتلع. كان يموت تحت وقع الأقدام.
قال:

—من؟

لم يجب أحد.

دخل رجال. كانوا يرتدون ثيابًا عسكرية. كانوا يحملون بنادق. كانوا ملثمين. كان اسمهم "الأمن والمخابرات."

قال أحدهم:

—أنت فهد؟

قال:

—نعم.

قال:

—تعال معنا.

قال:

—لماذا؟

قال:

—لا تسأل. تعال.

قال:

—لكنني...

قال:

—لا تتكلم. تعال.

أخذوه.

في الزنزانة، كان جالسًا. على الأرض. كان الظلام. كان الصمت. كان الخوف. كان السؤال. لماذا أنا هنا؟ ماذا كتبت؟ ماذا نشرت؟

جاء رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنت فهد؟

قال:

—نعم.

قال:

—أنت متهم بالتحريض. بالنشر. بالكتابة.

قال:

—أنا صحفي. أنا أكتب. هذا عملي. هذا...

قال:

—عملك؟ عملك هو أن تنشر أخبار المسيرة. أن تنشر إنجازات السلالة. أن تنشر...

قال:

—لكنني أكتب الحقيقة. الحقيقة ليست تحريضًا.

قال:

—الحقيقة؟ الحقيقة هي ما نقوله نحن. ليس ما تكتبه أنت. أنت لا يحق لك أن تكتب الحقيقة. أنت فقط تنقل. أنت فقط تصمت. أنت فقط...

صمت فهد.

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانوا يقولون:

—اعترف. اعترف أنك عميل. اعترف أنك مرتزق. اعترف أنك...

قال:

—أعترف بماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا. أنا فقط كتبت. أنا...

قالوا:

—الكتابة ليست لك. الكتابة لنا. أنت فقط... أنت فقط تصمت.

صمت.

في الزنزانة، كان هناك صحفيون آخرون. كانوا جالسين. كانوا يبكون. كانوا يعرفون أن لا أحد سيأتي. كانوا يعرفون أن لا أحد سيسمع. كانوا يعرفون أن كل شيء انتهى.

قال أحد السجناء:

—أنا هنا منذ سنتين. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قال آخر:

—أنا هنا منذ سنة. أخذوني لأنني كتبت مقالًا. مقالًا واحدًا. عن "الرواتب". عن "الجوع". عن "الحق."

قال فهد:

—ماذا سيحدث لنا؟

قال السجين:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنبقى هنا. ربما سنموت. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت زوجته. كانت تنتظر. كانت تسأل. كانت تبحث. لكنها لم تجد شيئًا. فقط، صمت. فقط، خوف. فقط، ألم.

قالت لنفسها:

—فهد. يا فهد. لماذا كتبت؟ لماذا نشرت؟ لماذا...

في الزنزانة، كان فهد. كان يعرف. كان يعرف أنه اعتقل لأنه كتب. لأنه قال الحقيقة. لأنه لم يصمت. لكنه كان يعرف أيضًا أنه لو عاد، سيكتب مرة أخرى. لأنه لا يستطيع أن يصمت. لأنه لا يستطيع أن يخاف. لأنه لا يستطيع أن يموت صامتًا.

المشهد الثاني والعشرون: من يفكر يُعتقل

في جامعة صنعاء، كلية الإعلام، كانت "نادية " تجلس في الصف. كانت في العشرينيات. كانت طالبة. كانت تحب العلم. كانت تحب الحقيقة. كانت تحب

أن تفكر. لكنها كانت تعرف أن التفكير أصبح خطرًا. كان تعرف أن السؤال أصبح جريمة. كانت تعرف أن العقل أصبح سجنًا.

في ذلك اليوم، كان الدكتور يشرح. كان يشرح "الثقافة الوطنية". كان يقول:

—الثقافة الوطنية هي أن تعرف من أنت. أن تعرف تاريخك. أن تعرف هويتك. أن تعرف أن اليمن ليست سلالة. اليمن ليست كهنوتًا. اليمن جمهورية. اليمن حر.

في الصف، كانت نادية تسمع. كانت تفكر. كانت تسأل نفسها: لماذا يقول هذا؟ لماذا يخالف "المنهج"؟ لماذا...

قالت لصديقتها:

—هذا الكلام خطير.

قالت صديقتها:

—لماذا؟

قالت نادية :

—لأن "المشرف" موجود. لأن "الطالب المراقب" موجود. لأن أي كلمة قد تؤدي إلى الاعتقال.

قالت صديقتها:

—لكنه يقول الحقيقة.

قالت نادية :

—الحقيقة ليست كافية. يجب أن تكون آمنًا. يجب أن تصمت. يجب أن...

في نهاية المحاضرة، خرجت نادية . كانت تفكر. كانت تعرف أن التفكير خطير. كانت تعرف أن السؤال خطير. كانت تعرف أن العقل خطير. لكنها لم تستطع أن تتوقف. لم تستطع أن تصمت. لم تستطع أن تموت.

في الأسبوع التالي، جاء "أبو سامي". كان مشرف الجامعة. كان يحمل قائمة. كان يقرأ الأسماء. قال:

—نادية .

صمتت نادية .

قال:

—تعالي.

قالت:

—لماذا؟

قال:

—لا تسألي. تعالي.

أخذها.

في غرفة صغيرة في مبنى "الأمن والمخابرات" في الجامعة، كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنت نادية ؟

قالت:

—نعم.

قال:

—أنت متهمة بالتفكير.

قالت:

—التفكير؟ التفكير ليس جريمة.

قال:

—في هذا الزمن. التفكير جريمة. التفكير تحريض. التفكير...

قالت:

—لكنني لم أفعل شيئًا. أنا فقط فكرت. أنا فقط سألت. أنا فقط...

قال:

—هذا هو التفكير. السؤال. الشك. هذا ما لا نريده. نريد أن تصمت. نريد أن تطيع. نريد أن...

صمتت نادية .

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانوا يقولون:

—اعترفي. اعترفي أنك تفكرين في التخريب. اعترفي أنك...

قالت:

—أعترف بماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا. أنا فقط فكرت. أنا...

قالوا:

—التفكير ليس لك. التفكير لنا. أنت فقط... أنت فقط تصمتين.

صمتت.

في الزنزانة، كانت هناك طالبات أخريات. كن جالسات. كن يبكين. كن يعرفن أن لا أحد سيأتي. كن يعرفن أن لا أحد سيسمع. كن يعرفن أن كل شيء انتهى.

قالت إحدى الطالبات:

—أنا هنا منذ سنة. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قالت أخرى:

—أنا هنا منذ ستة أشهر. أخذوني لأنني فكرت. فكرت في "الحرية". في "الجمهورية". في "٢٦ سبتمبر".

قالت نادية :

—ماذا سيحدث لنا؟

قالت الطالبة:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنبقى هنا. ربما سنموت. ربما...

صمتت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على معتقلين. على سجناء. على مفكرين. على أحرار. على شعب صامت.
لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنكتب. سنفكر. سنقاوم. سنعيش.

الباب الثالث: الابتزاز
الفصل السابع: قناة الهوية

المشهد الثالث والعشرون: الوجه الآخر للإعلام

في مبنى صغير في شارع "الستين" في صنعاء، كان هناك مقر "قناة الهوية". كان المبنى لا يبدو مختلفًا عن غيره. واجهة زجاجية. باب خشبي. لافتة مضيئة. لكن من يدخل، يكتشف أن هذا المكان ليس قناة. إنه شيء آخر.

في الطابق الأول، كان هناك استوديو. كاميرات. إضاءة. ميكروفونات. مذيعون. كانوا يقدمون برامج. كانوا يبتسمون. كانوا يقولون: "أهلاً بكم في قناة الهوية". كانوا يبدون عاديين. لكنهم لم يكونوا عاديين.

في الطابق الثاني، كان هناك مكاتب. موظفون. محررون. كانوا يكتبون الأخبار. كانوا يعدون التقارير. كانوا يبدون عاديين. لكنهم لم يكونوا عاديين.

في الطابق الثالث، كان هناك غرفة. كانت مغلقة. كانت مظلمة. كان فيها خزنة. كان فيها ملفات. كان فيها صور. كان فيها فيديوهات. كان فيها أسرار. كان فيها ابتزاز.

في تلك الغرفة، كان يجلس "محمد العماد". كان في الأربعينيات. كان يرتدي بدلة. كان على مكتبه هاتف. كان على الجدار صورة "السيد". كان على الأرض سجاد. كان في الزاوية مكيف.

كان محمد العماد هو "العقل المدبر". كان هو من يدير الابتزاز. كان هو من يختار الضحايا. كان هو من يرسل الفتيات. كان هو من يجمع الأموال.

في ذلك اليوم، دخل عليه رجل. كان في الخمسينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل حقيبة. كان اسمه "أبو راكان". كان مشرفًا.

قال:

—يا أستاذ محمد. عندنا "حالة" جديدة.

قال محمد العماد:

—من؟

قال:

—تاجر. اسمه "الحاج عبدالوهاب". عنده عمارات في حدة. عنده أموال. عنده...

قال:

—وماذا يريد؟

قال:

—لا يريد شيئًا. لكننا نريد منه شيئًا.

قال:

—ماذا؟

قال:

—نريد أن "يتبرع". للمسيرة. للمشروع. للجهاد.

قال:

—وكم؟

قال:

—مئة مليون.

قال:

—وماذا لو رفض؟

قال:

—عندنا "ملف". عن ابنته. عن صور. عن...

قال:

—جيد. أرسل الفتاة.

المشهد الرابع والعشرون: محمد العماد

في مكتبه، كان محمد العماد يجلس. كان يراجع "الملفات". كان يفتح ملفًا. كان فيه صور. كان فيه أسماء. كان فيه قصص. كان فيه حياة. لكنه لم يكن يراها كحياة. كان يراها كأدوات. كأسلحة. كأوراق ضغط.

في الملف الأول، كانت هناك فتاة. اسمها "سلمى". كانت في التاسعة عشرة. كانت جميلة. كانت قد عملت في القناة. كانت قد "تعاونت". كانت قد صورت "فيديوهات". كانت قد وقعت في الفخ. الآن، كانت أداة. الآن، كانت تستخدم لابتزاز عائلتها. لابتزاز والدها. لابتزاز كل من يهمه الأمر.

في الملف الثاني، كانت هناك فتاة أخرى. اسمها "ريم". كانت في الثامنة عشرة. كانت طالبة. كانت قد اختطفت. كانت قد عذبت. كانت قد صورت. كانت قد "اعترفت". الآن، كانت أداة. الآن، كانت تستخدم لابتزاز عائلتها. لابتزاز والدها. لابتزاز كل من يهمه الأمر.

في الملف الثالث، كانت هناك فتاة أخرى. اسمها "نور". كانت في السادسة عشرة. كانت يتيمة. كانت قد أخذت من الشارع. كانت قد "تبنتها" القناة. كانت قد "دربت". كانت قد صورت. كانت قد أرسلت. الآن، كانت أداة. الآن، كانت تستخدم لابتزاز مسؤولين. لابتزاز تجار. لابتزاز كل من يهمه الأمر.

في الملف الرابع، كان هناك رجل. اسمه "الحاج عبدالوهاب". كان تاجرًا. كان غنيًا. كان له ابنة. اسمها "لمى". كانت في السابعة عشرة. كانت جميلة. كانت قد صورت في "حفل". كانت قد صورت في "حفلة". كانت قد صورت في "مكان". الآن، كانت أداة. الآن، كانت تستخدم لابتزاز والدها. لابتزاز أمواله. لابتزاز كل ما يملك.

أغلق محمد العماد الملف. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة "السيد". ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده. كانت ابتسامة من يعرف أن الإعلام ليس إعلامًا. الإعلام سلاح. والإعلام ابتزاز. والإعلام جريمة.

قال لنفسه:

—هذا هو الإعلام الحقيقي. ليس الذي يقدم الأخبار. بل الذي يبتز. الذي يهدد. الذي يسرق. الذي...

في الخارج، كان الاستوديو. كان المذيع يقدم برنامجًا. كان يقول:

—أهلاً بكم في قناة الهوية. قناة الحرية. قناة الحقيقة. قناة...

نظر محمد العماد إلى الشاشة. ابتسم. كانت ابتسامة ساخرة. كان يعرف أن كل هذا كذب. لكنه كان يعرف أيضًا أن الكذب مربح. وأن الحقيقة مكلفة. وأن الابتزاز ذهب.

المشهد الخامس والعشرون: الابتزاز المنظم

في غرفة صغيرة في الطابق الثالث، كان هناك اجتماع. كان محمد العماد. كان أبو راكان. كان هناك رجل آخر. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو ياسر". كان مشرفًا.

قال محمد العماد:

—نبدأ بالحاج عبدالوهاب. عنده عمارات. عنده أموال. عنده ابنة. نستخدم الابنة.

قال أبو راكان:

—كيف؟

قال:

—نرسل له "رسالة". فيها صورة ابنته. في "الحفل". في "الحفلة". في "المكان". ونقول له: إذا لم "تتبرع" بمئة مليون، سننشر الصورة. سنفضح ابنته. سندمر سمعتها. سندمر حياته.

قال أبو ياسر:

—وماذا لو رفض؟

قال:

—لن يرفض. هو يعرف أن السمعة هي كل شيء. هو يعرف أن ابنته هي كل شيء. هو يعرف أننا لا نرحم.

قال أبو راكان:

—وماذا بعد؟

قال:

—بعد ذلك، ننتقل إلى التالي. التاجر "أبو ناصر". عنده محل. عنده أموال. عنده ابنة. نستخدم الابنة.

قال أبو ياسر:

—وهكذا؟

قال:

—وهكذا. نبتز التاجر. نبتز المسؤول. نبتز كل من يهمه الأمر. نجمع الأموال. نرسلها إلى "صعدة". إلى "مران". إلى "السيد". ونحتفظ بنصيبنا. نصيب القناة. نصيب المشرفين. نصيبنا.

صمت.

قال أبو راكان:

—هذا ليس إعلامًا. هذا...

قال:

—هذا هو الإعلام. الإعلام الحقيقي. ليس الذي يقدم الأخبار. بل الذي يبتز. الذي يهدد. الذي يسرق.

قال أبو ياسر:

—لكن هذا حرام.

قال:

—حرام؟ ومن قال إننا نتبع الحلال؟ نحن نتبع "المسيرة". "المسيرة" تقول: "افعلوا ما تريدون". "المسيرة" تقول: "الأموال لنا". "المسيرة" تقول: "النساء لنا". "المسيرة" تقول: "كل شيء لنا."

صمت.

في الخارج، كانت أصوات. كانت أصوات مذيعين. كانوا يقدمون برامج. كانوا يقولون: "قناة الهوية. قناة الحرية. قناة...". لكن في هذه الغرفة، لم تكن هناك حرية. كان هناك ابتزاز. كان هناك جريمة. كان هناك صمت.

المشهد السادس والعشرون: الفتيات المرسلات

في غرفة صغيرة في الطابق الأرضي، كانت هناك فتيات. كن جالسات. كن ينتظرن. كن يعرفن أن هناك "عمل". لكنهن لم يكن يعرفن ما هو. كن يعرفن أن هناك "راتب". لكنهن لم يكن يعرفن الثمن.

في الزاوية، كانت "سلمى". كانت في التاسعة عشرة. كانت قد جاءت قبل شهر. كانت قد وقعت "عقدًا". كانت قد صورت "فيديوهات". كانت قد أخذت "راتبًا". كانت قد "تعاونت". لكنها لم تكن تعرف أن "التعاون" يعني الابتزاز. لم تكن تعرف أن "الفيديوهات" ستستخدم ضد مسؤولين. لم تكن تعرف أن "الراتب" كان ثمن شرفها.

قالت سلمى لصديقتها:

—ماذا سنفعل اليوم؟

قالت صديقتها:

—لا أعرف. قالوا إن هناك "مهمة". "مهمة خاصة."

قالت سلمى:

—أي مهمة؟

قالت صديقتها:

—لا أعرف. لكنني سمعت أن هناك "ضيفًا". "ضيفًا مهمًا". من "صعدة". من "مران". من "السيد."

صمتت سلمى.

في الخارج، كان هناك سيارة. كانت تتوقف. كان فيها رجل. كان في الخمسينيات. كان يرتدي ثوبًا فاخرًا. كان يحمل حقيبة. كان اسمه "أبو علي". كان "ضيفًا". كان من "صعدة". كان من "مران". كان من "السيد."

دخل. نظر إلى الفتيات. ابتسم. كانت ابتسامة قذرة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء له. كانت ابتسامة من يعرف أن هؤلاء الفتيات مجرد أدوات. مجرد سلع. مجرد...

قال محمد العماد:

—يا أستاذ أبو علي. هذه "الفتيات". "المرسلات". "الهدايا". من "القناة". من "المسيرة". من "السيد."

قال أبو علي:

—ممتاز. ممتاز. أنا أحب "الهدايا". أنا أحب "المرسلات". أنا أحب...

نظر إلى سلمى. قال:

—هذه. هذه جميلة. هذه...

قال محمد العماد:

—هذه "سلمى". "تعاونت" معنا. "صورت" معنا. "أخذت" منا. وهي الآن "لك". "لك" الليلة. "لك" غدًا. "لك" متى شئت.

صمتت سلمى. كانت تعرف. كانت تعرف ما يعنيه "لك". كانت تعرف ما يعنيه "الليلة". كانت تعرف ما يعنيه "الهدية". لكنها لم تستطع أن تتكلم. لم تستطع أن تعترض. لم تستطع أن...

في الليلة، كانت سلمى في غرفة. كانت مع رجل. كان "أبو علي". كان من "صعدة". كان من "مران". كان من "السيد". كان يبتز. كان يهتك. كان...

في الصباح، عادت سلمى. كانت شاحبة. كانت مكسورة. كانت تعرف أن شرفها ذهب. كانت تعرف أن حياتها انتهت. كانت تعرف أن كل شيء انتهى.

قالت لصديقتها:

—لماذا؟ لماذا أنا؟ ماذا فعلت؟

قالت صديقتها:

—لم تفعلي شيئًا. فقط، كنتِ فتاة. فقط، كنتِ جميلة. فقط، كنتِ فقيرة.

صمتت.

في الخارج، كانت القناة. كانت المذيعين. كانوا يبتسمون. كانوا يقولون: "قناة الهوية. قناة المسيرة. قناة...". لكن في الداخل، كانت هناك فتيات. كانت هناك سلمى. كانت هناك ريم. كانت هناك نور. كن ضحايا. كن أدوات. كن صامتات.

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة سلمى. في التاسعة عشرة. كانت تبتسم. كانت جميلة. كانت حرة. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط، ذكرى. فقط، ألم. فقط، صمت.

في النهاية، لم تعد سلمى إلى بيتها. لم تعد إلى عائلتها. لم تعد إلى أي مكان. فقط، بقيت في القناة. بقيت في الغرفة. بقيت في الابتزاز. بقيت في الجحيم.

قالت لنفسها:

—أنا لم أعد سلمى. أنا الآن "المرسلة". أنا الآن "الهدية". أنا الآن "الأداة". لكن... لكن هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.

في قلبها، كان هناك صوت. صوت يقول:

—لن أصمت. لن أستسلم. لن أموت. سأتكلم. سأقاوم. سأعيش.

المشهد السابع والعشرون: التحشيد القسري

في حي "شعوب"، كان "أبو سامي" يجلس في غرفته. كان في الخمسينيات. كان موظفًا. كان يحب الحياة الهادئة. كان يحب أن يجلس مع أولاده. كان يحب أن يقرأ. لكنه كان يعرف أن الحياة لم تعد هادئة. كان يعرف أن هناك "مسيرات". كان يعرف أن هناك "تحشيد". كان يعرف أن هناك "إجبار."

في ذلك اليوم، دق الباب. كان الطرق قويًا. كان معروفًا. كان أبو سامي يعرف من يطرق هكذا. فتح الباب. كان هناك رجل. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو راكان". كان مشرف الحارة.

قال:

—يا أبو سامي. غدًا مسيرة. في السبعين. يجب أن تحضر.

قال أبو سامي:

—لكنني...

قال:

—لا "لكن". يجب أن تحضر. هذه توجيهات. من فوق.

قال:

—لكنني موظف. عندي عمل. عندي...

قال:

—لا يهم. العمل يمكن أن ينتظر. المسيرة لا تنتظر. غدًا. الثامنة صباحًا. السبعين.

قال:

—وإذا لم أحضر؟

قال:

—إذا لم تحضر. سنعرف. وسنتصرف.

صمت أبو سامي.

في الصباح، ذهب إلى السبعين. كان الميدان مليئًا. كان هناك آلاف. كانوا يقفون. كانوا يهتفون. كانوا يرفعون الشعارات. "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام". "لبيك يا نصر الله". كانوا يهتفون. لكن أبو سامي كان يعرف. كان يعرف أن معظمهم لم يأتوا بإرادتهم. كانوا قد أُجبروا. كانوا قد خافوا. كانوا قد...

نظر حوله. رأى جاره. كان واقفًا. كان يهتف. لكن عينيه كانتا حزينتين. رأى صديقه. كان واقفًا. كان يرفع يده. لكن وجهه كان شاحبًا. رأى ابن عمه. كان واقفًا. كان يصرخ. لكن صوته كان مبحوحًا.

قال أبو سامي لجاره:

—هل أنت هنا بإرادتك؟

قال الجار:

—اسكت. لا تتكلم. إذا سمعوك...

قال:

—لكنني...

قال الجار:

—اسكت. من أجل نفسك. من أجل عائلتك. من أجل...

صمت أبو سامي.

في الميدان، كان هناك مشرفون. كانوا يوزعون "الوجبات". كانوا يوزعون "الماء". كانوا يوزعون "القمصان". كانوا يوزعون "الأعلام". كانوا يوزعون "الشعارات". لكنهم كانوا يوزعون شيئًا آخر. كانوا يوزعون "الخوف". كانوا يوزعون "الترهيب". كانوا يوزعون "الإجبار."

قال أبو راكان عبر مكبر الصوت:

—يا جماهير المسيرة. يا أحفاد السلالة. يا أنصار الله. اليوم، نعلن ولاءنا. اليوم، نعلن طاعتنا. اليوم، نعلن...

صمت أبو سامي. كان يعرف أن كل هذا كذب. كان يعرف أن كل هذا نفاق. كان يعرف أن كل هذا إجبار. لكنه كان يعرف أيضًا أنه لا يستطيع أن يتكلم. لا يستطيع أن يعترض. لا يستطيع أن...

في نهاية المسيرة، عاد إلى بيته. كان متعبًا. كان مكسورًا. كان يعرف أنه شارك في كذبة. كان يعرف أنه صفق لباطل. كان يعرف أنه...

قالت زوجته:

—كيف كانت المسيرة؟

قال:

—كانت... كانت...

صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول الحقيقة. لم يستطع أن يقول إنه أُجبر. إنه خاف. إنه...

في الخارج، كانت الشمس تغرب. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على مسيرات. على تحشيد. على إجبار. على شعب صامت.

قال أبو سامي لنفسه:

—لماذا أذهب؟ لماذا أهتف؟ لماذا أصفق؟ لأنني خائف. لأنني ضعيف. لأنني... لأنني لا أستطيع أن أرفض. لكن... لكن هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.

المشهد الثامن والعشرون: كشوفات الأسماء

في مكتب صغير في مبنى "المشرفين" في حي "شعوب"، كان "أبو ياسر" يجلس. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على مكتبه أوراق. كان يقرأ. كان يكتب. كان يعد.

كان يعد "كشوفات الأسماء". كان يعد قوائم. كان يعد أسماء الموظفين. أسماء التجار. أسماء الطلاب. أسماء كل من يجب أن يحضر "المسيرة". أسماء كل من يجب أن "يتبرع". أسماء كل من يجب أن "يطيع."

في الكشف الأول، كان هناك اسم "أبو سامي". كان موظفًا. كان يجب أن يحضر "المسيرة". كان يجب أن "يتبرع". كان يجب أن "يطيع". إذا لم يحضر، سيُعاقب. إذا لم يتبرع، سيُعاقب. إذا لم يطع، سيُعاقب.

في الكشف الثاني، كان هناك اسم "أبو خالد". كان تاجرًا. كان يجب أن يحضر "المسيرة". كان يجب أن "يتبرع". كان يجب أن "يطيع". إذا لم يحضر، سيُعاقب. إذا لم يتبرع، سيُعاقب. إذا لم يطع، سيُعاقب.

في الكشف الثالث، كان هناك اسم "الأستاذ حمود". كان مدرسًا. كان يجب أن يحضر "المسيرة". كان يجب أن "يتبرع". كان يجب أن "يطيع". لكن "الأستاذ حمود" لم يحضر. لم يتبرع. لم يطع. لهذا، كان في "القائمة السوداء". لهذا، كان "مطلوبًا". لهذا، كان...

في الكشف الرابع، كان هناك اسم "نادية ". كانت طالبة. كانت مذاعة. كانت يجب أن تحضر "المسيرة". كانت يجب أن "تتبرع". كانت يجب أن "تطيع". لكن "نادية " لم تحضر. لم تتبرع. لم تطع. لهذا، كانت في "القائمة السوداء". لهذا، كانت "مطلوبة". لهذا، كانت...

أغلق أبو ياسر الكشوفات. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة "السيد". ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده. كانت ابتسامة من يعرف أن الكشوفات ليست أوراقًا. الكشوفات سلاح. الكشوفات ترهيب. الكشوفات جريمة.

قال لنفسه:

—هذا هو التحشيد الحقيقي. ليس الذي يأتي بالإرادة. بل الذي يأتي بالخوف. الذي يأتي بالتهديد. الذي يأتي بالكشوفات.

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن أسماءهم في الكشوفات. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يحضروا. يجب أن يتبرعوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن "الأستاذ حمود" اعتقل.

قال آخر:

—نعم. لأنه لم يحضر "المسيرة."

قال الأول:

—وماذا سيحدث له؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُعاقب. ربما سيُسجن. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على كشوفات. على أسماء. على خوف. على شعب صامت.

قال أحدهم لنفسه:

—اسمي في الكشف. يجب أن أذهب. يجب أن أهتف. يجب أن أصفق. لكن... لكنني لا أريد. أنا لا أؤمن. أنا لا...

في الزاوية، كان هناك طفل. كان في الثامنة. كان ينظر إلى أبيه. كان ينظر إلى الكشف. كان ينظر إلى الخوف. قال:

—أبي. لماذا نذهب إلى المسيرة؟

قال الأب:

—لأننا يجب أن نذهب.

قال الطفل:

—لماذا يجب؟

قال الأب:

—لأنهم... لأنهم...

صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنهم يجبروننا. إنهم يهددوننا. إنهم...

قال الطفل:

—أبي. أنا لا أحب المسيرة.

قال الأب:

—ولا أنا. لكننا يجب أن نذهب.

صمت الطفل. نظر إلى الأرض. كان يعرف أن هناك شيئًا خطأ. لكنه لم يكن يعرف ماذا. كان يعرف فقط أن أباه صامت. كان يعرف فقط أن أباه خائف. كان يعرف فقط أن أباه...

المشهد التاسع والعشرون: من يتخلف يُعاقب

في مبنى "المشرفين" في حي "الروضة"، كان "أبو جعفر" يجلس. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على مكتبه ملف. كان يقرأ. كان يكتب. كان يعد.

كان يعد "العقوبات". كان يعد قوائم. كان يعد أسماء من تخلفوا. أسماء من لم يحضروا "المسيرة". أسماء من لم "يتبرعوا". أسماء من لم "يطيعوا". أسماء من يجب أن "يعاقبوا."

في الملف الأول، كان هناك اسم "أبو ناصر". كان تاجرًا. لم يحضر "المسيرة". لم "يتبرع". لم "يطع". العقوبة: إغلاق المحل. مصادرة البضاعة. غرامة مليون ريال.

في الملف الثاني، كان هناك اسم "الحاج عبدالوهاب". كان تاجرًا. لم يحضر "المسيرة". لم "يتبرع". لم "يطع". العقوبة: مصادرة العمارة. غرامة عشرة ملايين ريال. اعتقال الابن.

في الملف الثالث، كان هناك اسم "الأستاذ حمود". كان مدرسًا. لم يحضر "المسيرة". لم "يتبرع". لم "يطع". العقوبة: الفصل من العمل. قطع الراتب. الاعتقال. التعذيب.

في الملف الرابع، كان هناك اسم "نادية ". كانت طالبة. لم تحضر "المسيرة". لم "تتبرع". لم "تطع". العقوبة: الفصل من الجامعة. منع من السفر. التهديد. الابتزاز.

أغلق أبو جعفر الملف. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة "الدعي الحوثي". ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده.

كانت ابتسامة من يعرف أن العقوبات ليست عدالة. العقوبات ترهيب. العقوبات جريمة. العقوبات...

قال لنفسه:

—هذا هو التحشيد الحقيقي. ليس الذي يأتي بالإرادة. بل الذي يأتي بالخوف. الذي يأتي بالعقوبات. الذي يأتي...

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن أسماءهم في الملفات. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يحضروا. يجب أن يتبرعوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن "أبو ناصر" أُغلق محله.

قال آخر:

—نعم. لأنه لم يحضر "المسيرة."

قال الأول:

—وماذا سيحدث له؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُغلق المحل. ربما سيُصادر. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على عقوبات. على خوف. على ترهيب. على شعب صامت.

قال أحدهم لنفسه:

—اسمي في الملف. يجب أن أذهب. يجب أن أهتف. يجب أن أصفق. لكن... لكنني لا أريد أن أكون عبداً. أنا لا أؤمن بدجلهم . أنا لا...

في الزاوية، كانت هناك امرأة. كانت في الخمسينيات. كانت تنظر إلى ابنها. كان في الثامنة عشرة. كان قد رفض أن يذهب إلى "المسيرة". كان قد قال: "أنا لا أؤمن". كان قد قال: "أنا لا أريد". كان قد قال: "أنا حر."

قالت الأم:

—يا بني. اذهب. أرجوك. اذهب.

قال:

—لا. أنا لا أذهب.

قالت:

—سيأخذونك. سيعتقلونك. سيعذبونك.

قال:

—لا يهم. أنا حر.

قالت:

—لكنني أخاف عليك. أنا أمك. أنا...

قال:

—وأنا أخاف على كرامتي. أنا رجل. أنا...

صمتت الأم. كانت تعرف. كانت تعرف أن ابنها على حق. لكنها كانت تعرف أيضًا أنه سيعاقب. سيُعتقل. سيُعذب. سيُقتل. كانت تعرف أنها ستخسره. كانت تعرف أنها...

في الصباح، أخذوه. جاءوا. كانوا يحملون بنادق. كانوا يرتدون ثيابًا عسكرية. كانوا يقولون: "أنت مطلوب". أخذوه. لم يعد.

جلست الأم. في غرفتها. كانت تبكي. كانت تقول:

—ابني. ابني. لماذا؟ لماذا أخذوه؟ لأنه رفض أن يهتف؟ لأنه رفض أن يصفق؟ لأنه رفض أن...

صمتت. لم تستطع أن تكمل. لم تستطع أن تقول إنهم أخذوه لأنه حر. لأنه رفض. لأنه...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على عقوبات. على خوف. على ترهيب. على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

في ميدان "السبعين"، كان هناك احتفال. كان "المولد النبوي". كان الميدان مليئًا. كان هناك آلاف. كانوا يقفون. كانوا يهتفون. كانوا يرفعون الشعارات. "لبيك يا رسول الله". "لبيك يا حبيب الله". "لبيك يا...". كانوا يهتفون. لكن أبو سامي كان يعرف. كان يعرف أن معظمهم لم يأتوا بإرادتهم. كانوا قد أُجبروا. كانوا قد خافوا. كانوا قد...

نظر حوله. رأى "المشرفين". كانوا يوزعون "الوجبات". كانوا يوزعون "الماء". كانوا يوزعون "الحلوى". كانوا يوزعون "الأعلام". لكنهم كانوا يوزعون شيئًا آخر. كانوا يوزعون "الترهيب". كانوا يوزعون "الخوف". كانوا يوزعون "الإجبار."

في زاوية من الميدان، كان هناك "صندوق". كان كبيرًا. كان مفتوحًا. كان فيه "أموال". كان الناس يضعون. كانوا "يتبرعون". كانوا "يتصدقون". لكن أبو سامي كان يعرف. كان يعرف أن هذه "الأموال" لن تذهب إلى "الفقراء". لن تذهب إلى "المحتاجين". لن تذهب إلى "الأيتام". ستذهب إلى "صعدة". إلى "مران". إلى "السيد". إلى "الحرب". إلى "السلاح". إلى...

قال أبو سامي لجاره:

—إلى أين تذهب هذه الأموال؟

قال الجار:

—اسكت. لا تتكلم. إذا سمعوك...

قال:

—لكنني...

قال الجار:

—اسكت. من أجل نفسك. من أجل عائلتك. من أجل...

صمت أبو سامي.

في الميدان، كان هناك "مشرف". كان يصعد إلى المنصة. كان يحمل "ميكروفون". كان يقول:

—يا جماهير المسيرة. يا أحفاد السلالة. يا أنصار الله. اليوم، نعلن حبنا للرسول. اليوم، نعلن طاعتنا. اليوم، نعلن...

صمت أبو سامي. كان يعرف أن كل هذا كذب. كان يعرف أن كل هذا نفاق. كان يعرف أن كل هذا إجبار. لكنه كان يعرف أيضًا أن "الأموال" تُسرق. تُسرق باسم "الدين". تُسرق باسم "المولد". تُسرق باسم "الرسول."

في نهاية الاحتفال، عاد إلى بيته. كان متعبًا. كان مكسورًا. كان يعرف أنه شارك في كذبة. كان يعرف أنه صفق لباطل. كان يعرف أنه...

قالت زوجته:

—كيف كان المولد؟

قال:

—كان... كان...

صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنهم سرقوا. إنهم نهبوا. إنهم...

في الخارج، كانت الشمس تغرب. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على مولد. على سرقة. على نفاق. على شعب صامت.
قال أبو سامي لنفسه:
—لماذا أذهب؟ لماذا أهتف؟ لماذا أصفق؟ لأنني خائف. لأنني ضعيف. لأنني... لأنني لا أستطيع أن أرفض. لكن... لكن هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.
في الزاوية، كان هناك طفل. كان في الثامنة. كان ينظر إلى أبيه. كان ينظر إلى الصندوق. كان ينظر إلى الأموال. قال:
—أبي. إلى أين تذهب هذه الأموال؟
قال الأب:
—إلى... إلى...
صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنها تُسرق. إنها تُنهب. إنها...
قال الطفل:
—أبي. لماذا نعطي أموالنا؟
قال الأب:
—لأننا... لأننا...
صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنهم يجبروننا. إنهم يهددوننا. إنهم...
قال الطفل:

—أبي. أنا جوعان. هل يمكن أن نأخذ بعض الأموال لنأكل؟
صمت الأب. نظر إلى ابنه. كان يعرف. كان يعرف أن ابنه جوعان. كان يعرف أن الأموال التي دفعها كانت كافية لطعام. كانت كافية لدواء. كانت كافية لحياة. لكنها ذهبت. ذهبت إلى "صعدة". إلى "مران". إلى "السيد". إلى...
قال الأب:
—لا. لا يمكن.
قال الطفل:
—لماذا؟
قال الأب:
—لأنهم... لأنهم...
صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنهم يسرقون. إنهم ينهبون. إنهم... في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على مولد. على سرقة. على نفاق. على شعب صامت.
لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الفصل التاسع: الدورات الثقافية

المشهد الحادي والثلاثون: طوفان الأقصى

في قاعة صغيرة داخل جامعة صنعاء، كان هناك "دورة ثقافية". كان على الجدار لافتة كبيرة. كان مكتوبًا عليها: "دورة طوفان الأقصى الثقافية – الدفعة السابعة". كان في القاعة عشرات الطلاب. كانوا جالسين على كراسي بلاستيكية. كانوا ينتظرون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكونوا هنا. كانوا يعرفون أنهم لو لم يحضروا، سيرسبون. لو رسبوا، سيُطردون. لو طُردوا، سيُجندون. لو جُندوا، سيموتون.

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو سامي". كان مشرف "الدورات الثقافية."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. نبدأ اليوم دورة "طوفان الأقصى". هذه الدورة ليست دورة عادية. هذه دورة جهادية. دورة عقائدية. دورة...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "الدورة" ليست تعليمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تجنيد". إنها "موت."

قال:

—من منكم يعرف ما هو "طوفان الأقصى"؟
رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "سامي". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج. كان يريد أن يعيش.
قال:
" —طوفان الأقصى" هو... هو...
قال أبو سامي:
—هو ماذا؟
قال:
—هو... هو عملية. عملية جهادية. عملية...
قال:
—أحسنت. لكنه ليس مجرد عملية. "طوفان الأقصى" هو بداية النهاية. نهاية إسرائيل. نهاية أمريكا. نهاية...
صمت الطالب.
قال أبو سامي:
" —طوفان الأقصى" هو الطريق. الطريق إلى "القدس". الطريق إلى "فلسطين". الطريق إلى "الجهاد". الطريق إلى "الشهادة."
في القاعة، كان هناك طلاب آخرون. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...
قال أبو سامي:

—من منكم يريد أن يكون "شهيدًا"؟
صمتت القاعة.
قال:
—من منكم يريد أن يموت في سبيل الله؟
صمتت القاعة.
قال:
—من منكم يريد أن يذهب إلى "فلسطين"؟ إلى "غزة"؟ إلى "الجهاد"؟
صمتت القاعة.
قال:
—لا أحد؟ لماذا؟ لأنكم خائفون. لأنكم ضعفاء. لأنكم...
صمت. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذا "الاختبار". كانوا يعرفون أن من يرفض، سيُعاقب. سيُفصل. سيُعتقل. سيُقتل. في الزاوية، كانت "نادية ". كانت في العشرينيات. كانت طالبة. كانت مذيعة. كانت تحب الحياة. كانت تحب الحقيقة. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن هذه "الدورة" ليست تعليمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تجنيد". إنها "موت."
قالت لنفسها:
—أنا لا أريد أن أموت. أنا لا أريد أن أذهب إلى "فلسطين". أنا لا أريد أن أقاتل. أنا فقط أريد أن أعيش. أنا فقط أريد أن أتعلم. أنا فقط أريد أن...
صمتت. لم تستطع أن تقول شيئًا. لم تستطع أن ترفض. لم تستطع أن...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "دورات". على "غسيل دماغ". على "تجنيد". على شعب صامت.

المشهد الثاني والثلاثون: غسيل الدماغ

في قاعة أخرى، كان هناك "محاضرة". كان على الجدار صورة كبيرة. كان فيها "السيد". كان فيها "الرايات". كان فيها "الشعارات". كان فيها "الموت لأمريكا". كان فيها "لعنة على اليهود". كان فيها "النصر للإسلام."

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الخمسينيات. كان يرتدي عمامة سوداء. كان يحمل عصا. كان اسمه "العلامة". كان "علامة" في "الدورات الثقافية."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة "المسيرة". الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة "السلالة". الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "المحاضرة" ليست علمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تضليل". إنها "كذب."

قال:

—من منكم يعرف "التوحيد"؟

رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "خالد". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج.

قال:

" —التوحيد" هو... هو...

قال العلامة:

—هو ماذا؟

قال:

—هو... هو الإيمان بالله. الإيمان بوحدانية الله. الإيمان...

قال:

—خطأ. "التوحيد" هو "الولاية". "الولاية" لـ"السيد". "الولاية" لـ"السلالة". "الولاية" لـ"المسيرة". "التوحيد" هو أن تطيع. أن تطيع "السيد". أن تطيع "السلالة". أن تطيع...

صمت الطالب.

قال العلامة:

" —التوحيد" ليس أن تصلي. ليس أن تصوم. ليس أن تحج. "التوحيد" هو أن تكون مع "السلالة". أن تكون مع "المسيرة". أن تكون مع...

في القاعة، كان هناك طلاب آخرون. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال العلامة:

—من منكم يعرف "الجهاد"؟

رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "سامي". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج.

قال:

" —الجهاد" هو... هو...

قال العلامة:

—هو ماذا؟

قال:

—هو... هو القتال. القتال في سبيل الله. القتال...

قال:

—خطأ. "الجهاد" هو "الطاعة". "الطاعة" لـ"السيد". "الطاعة" لـ"السلالة". "الطاعة" لـ"المسيرة". "الجهاد" هو أن تموت. أن تموت في "الجبهة". أن تموت في "الحرب". أن تموت...

صمت الطالب.

قال العلامة:

" —الجهاد" ليس أن تقاتل "إسرائيل". ليس أن تقاتل "أمريكا". "الجهاد" هو أن تقاتل "الإرهاب". "الإرهاب" الذي في "اليمن". "الإرهاب" الذي في "مأرب". "الإرهاب" الذي في "تعز". "الإرهاب" الذي...

في القاعة، كانت "نادية ". كانت تسمع. كانت تعرف. كانت تعرف أن هذا "غسيل دماغ". كانت تعرف أن هذا "تضليل". كانت تعرف أن هذا " كذب".

لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تتكلم. لا تستطيع أن تعترض. لا تستطيع أن...

قالت لنفسها:

" —التوحيد" ليس "الولاية". "الجهاد" ليس "الطاعة". "الإسلام" ليس "السلالة". لكن... لكنهم يقولون هذا. يكررون هذا. يفرضون هذا. حتى يصدق الطلاب. حتى يقتنعوا. حتى يموتوا.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "محاضرات". على "غسيل دماغ". على "تضليل". على شعب صامت.

المشهد الثالث والثلاثون: من يتغيب يرسب

في مكتب صغير في جامعة صنعاء، كان "أبو سامي" يجلس. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على مكتبه أوراق. كان يقرأ. كان يكتب. كان يعد.

كان يعد "كشوفات الحضور". كان يعد قوائم. كان يعد أسماء الطلاب. أسماء من حضروا "الدورات". أسماء من تغيبوا. أسماء من يجب أن "يرسبوا". أسماء من يجب أن "يعاقبوا."

في الكشف الأول، كان هناك اسم "سامي". كان طالبًا. كان قد حضر "الدورات". كان قد "أطاع". كان قد "صفق". كان قد "هتف". لهذا، كان "ناجحًا". لهذا، كان "مقبولًا". لهذا، كان...

في الكشف الثاني، كان هناك اسم "خالد". كان طالبًا. كان قد تغيب عن "الدورات". كان قد "رفض". كان قد "اعترض". كان قد "سكت". لهذا، كان "راسبًا". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان...

في الكشف الثالث، كان هناك اسم "سامي". كان طالبًا. كان قد تغيب عن "الدورات". كان قد "رفض". كان قد "اعترض". كان قد "سكت". لهذا، كان "راسبًا". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان...

في الكشف الرابع، كان هناك اسم "نادية ". كانت طالبة. كانت قد تغيبت عن "الدورات". كانت قد "رفضت". كانت قد "اعترضت". كانت قد "سكتت". لهذا، كانت "راسبة". لهذا، كانت "مطرودة". لهذا، كانت...

أغلق أبو سامي الكشوفات. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة "السيد". ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده. كانت ابتسامة من يعرف أن الكشوفات ليست أوراقًا. الكشوفات سلاح. الكشوفات ترهيب. الكشوفات جريمة.

قال لنفسه:

—هذا هو "التعليم" الحقيقي. ليس الذي يأتي بالعلم. بل الذي يأتي بالخوف. الذي يأتي بالترهيب. الذي يأتي بالكشوفات.

في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن أسماءهم في الكشوفات. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يحضروا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن "خالد" رسب.

قال آخر:

—نعم. لأنه تغيب عن "الدورات."

قال الأول:

—وماذا سيحدث له؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُطرد. ربما سيُجند. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على كشوفات. على رسوب. على ترهيب. على شعب صامت.

قال أحدهم لنفسه:

—اسمي في الكشف. يجب أن أذهب. يجب أن أهتف. يجب أن أصفق. لكن... لكنني لا أريد. أنا لا أؤمن. أنا لا...

في الزاوية، كان هناك طالب. كان في الثامنة عشرة. كان ينظر إلى الكشف. كان ينظر إلى اسمه. كان ينظر إلى "راسب". قال:

—لماذا رسبت؟ لأنني لم أذهب إلى "الدورة"؟ لأنني لم أهتف؟ لأنني لم أصفق؟ لأنني...

صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنه رسب لأنه حر. لأنه رفض. لأنه...

قال لنفسه:

—لكن... لكن هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.

المشهد الرابع والثلاثون: الطلاب كجواسيس

في قاعة صغيرة في جامعة صنعاء، كان هناك "اجتماع". كان على الجدار لافتة. كان مكتوبًا عليها: "اجتماع الطلاب المكلفين". كان في القاعة عشرات الطلاب. كانوا جالسين. كانوا ينتظرون. كانوا يعرفون أنهم "مكلفون". كانوا يعرفون أنهم "جواسيس."

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف "الطلاب المكلفين."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. أنتم "الطلاب المكلفون". أنتم "عيون المسيرة". أنتم "آذان السلالة". أنتم...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "المهمة" ليست شرفًا. إنها "تجسس". إنها "خيانة". إنها "موت."

قال:

—مهمتكم بسيطة. أن تسمعوا. أن تنقلوا. أن تبلغوا. أن تبلغوا عن "الخونة". عن "العملاء". عن "المرتزقة". عن...

في القاعة، كان هناك طلاب. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن ينقلوا. يجب أن يبلغوا. يجب أن...

قال أبو جعفر:

—من منكم يعرف "نادية "؟

صمتت القاعة.

قال:

—من منكم يعرف "نادية "؟ التي تتكلم. التي تكتب. التي تعترض. التي...

صمتت القاعة.

قال:

—لا أحد؟ لماذا؟ لأنكم خائفون. لأنكم ضعفاء. لأنكم...

صمت. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "نادية " هي "الهدف". كانوا يعرفون أنها "مطلوبة". كانوا يعرفون أنها يجب أن "تُبلغ". يجب أن "تُسلم". يجب أن...

في الزاوية، كان هناك طالب. كان في العشرينيات. كان اسمه "يوسف". كان قد "كُلف". كان قد "أطاع". كان قد "بلغ". لكنه كان يعرف. كان يعرف أن "نادية " ليست "خونة". كانت فقط "تتكلم". كانت فقط "تكتب". كانت فقط "تعترض". كانت فقط...

قال لنفسه:

—أنا لا أريد أن أبلغ. أنا لا أريد أن أخون. أنا لا أريد أن أكون "جاسوسًا". لكن... لكنني خائف. أنا خائف أن أرفض. أنا خائف أن أُعاقب. أنا خائف أن أُقتل.

في الخارج، كانت "نادية ". كانت تمشي. كانت تعرف أن هناك "طلابًا مكلفين". كانت تعرف أن هناك "جواسيس". كانت تعرف أن هناك "عيونًا". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

قالت لنفسها:

—أنا لا أخاف. أنا لا أخاف من "الجواسيس". أنا لا أخاف من "الطلاب المكلفين". أنا لا أخاف من "المشرفين". أنا أخاف فقط من "الصمت". من "الخوف". من "الموت."

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "اجتماعات". على "تجسس". على "خيانة". على شعب صامت.
لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

المشهد الحادي والثلاثون: طوفان الأقصى

في قاعة صغيرة داخل جامعة صنعاء، كان هناك "دورة ثقافية". كان على الجدار لافتة كبيرة. كان مكتوبًا عليها: "دورة طوفان الأقصى الثقافية – الدفعة السابعة". كان في القاعة عشرات الطلاب. كانوا جالسين على كراسي بلاستيكية. كانوا ينتظرون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكونوا هنا. كانوا يعرفون أنهم لو لم يحضروا، سيرسبون. لو رسبوا، سيُطردون. لو طُردوا، سيُجندون. لو جُندوا، سيموتون.

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو سامي". كان مشرف "الدورات الثقافية."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. نبدأ اليوم دورة "طوفان الأقصى". هذه الدورة ليست دورة عادية. هذه دورة جهادية. دورة عقائدية. دورة...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "الدورة" ليست تعليمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تجنيد". إنها "موت."

قال:

—من منكم يعرف ما هو "طوفان الأقصى"؟
رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "سامي". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج. كان يريد أن يعيش.
قال:
" —طوفان الأقصى" هو... هو...
قال أبو سامي:
—هو ماذا؟
قال:
—هو... هو عملية. عملية جهادية. عملية...
قال:
—أحسنت. لكنه ليس مجرد عملية. "طوفان الأقصى" هو بداية النهاية. نهاية إسرائيل. نهاية أمريكا. نهاية...
صمت الطالب.
قال أبو سامي:
" —طوفان الأقصى" هو الطريق. الطريق إلى "القدس". الطريق إلى "فلسطين". الطريق إلى "الجهاد". الطريق إلى "الشهادة."
في القاعة، كان هناك طلاب آخرون. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...
قال أبو سامي:

—من منكم يريد أن يكون "شهيدًا"؟
صمتت القاعة.
قال:
—من منكم يريد أن يموت في سبيل الله؟
صمتت القاعة.
قال:
—من منكم يريد أن يذهب إلى "فلسطين"؟ إلى "غزة"؟ إلى "الجهاد"؟
صمتت القاعة.
قال:
—لا أحد؟ لماذا؟ لأنكم خائفون. لأنكم ضعفاء. لأنكم...
صمت. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذا "الاختبار". كانوا يعرفون أن من يرفض، سيُعاقب. سيُفصل. سيُعتقل. سيُقتل. في الزاوية، كانت "نادية ". كانت في العشرينيات. كانت طالبة. كانت مذيعة. كانت تحب الحياة. كانت تحب الحقيقة. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن هذه "الدورة" ليست تعليمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تجنيد". إنها "موت."
قالت لنفسها:
—أنا لا أريد أن أموت. أنا لا أريد أن أذهب إلى "فلسطين". أنا لا أريد أن أقاتل. أنا فقط أريد أن أعيش. أنا فقط أريد أن أتعلم. أنا فقط أريد أن...
صمتت. لم تستطع أن تقول شيئًا. لم تستطع أن ترفض. لم تستطع أن...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "دورات". على "غسيل دماغ". على "تجنيد". على شعب صامت.

المشهد الثاني والثلاثون: غسيل الدماغ

في قاعة أخرى، كان هناك "محاضرة". كان على الجدار صورة كبيرة. كان فيها "السيد". كان فيها "الرايات". كان فيها "الشعارات". كان فيها "الموت لأمريكا". كان فيها "لعنة على اليهود". كان فيها "النصر للإسلام."

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الخمسينيات. كان يرتدي عمامة سوداء. كان يحمل عصا. كان اسمه "العلامة". كان "علامة" في "الدورات الثقافية."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة "المسيرة". الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة "السلالة". الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "المحاضرة" ليست علمًا. إنها "غسيل دماغ". إنها "تضليل". إنها "كذب."

قال:

—من منكم يعرف "التوحيد"؟

رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "خالد". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج.

قال:

" —التوحيد" هو... هو...

قال العلامة:

—هو ماذا؟

قال:

—هو... هو الإيمان بالله. الإيمان بوحدانية الله. الإيمان...

قال:

—خطأ. "التوحيد" هو "الولاية". "الولاية" لـ"السيد". "الولاية" لـ"السلالة". "الولاية" لـ"المسيرة". "التوحيد" هو أن تطيع. أن تطيع "السيد". أن تطيع "السلالة". أن تطيع...

صمت الطالب.

قال العلامة:

" —التوحيد" ليس أن تصلي. ليس أن تصوم. ليس أن تحج. "التوحيد" هو أن تكون مع "السلالة". أن تكون مع "المسيرة". أن تكون مع...

في القاعة، كان هناك طلاب آخرون. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال العلامة:

—من منكم يعرف "الجهاد"؟

رفع طالب يده. كان في العشرينيات. كان اسمه "سامي". كان يريد أن ينجح. كان يريد أن يتخرج.

قال:

" —الجهاد" هو... هو...

قال العلامة:

—هو ماذا؟

قال:

—هو... هو القتال. القتال في سبيل الله. القتال...

قال:

—خطأ. "الجهاد" هو "الطاعة". "الطاعة" لـ"السيد". "الطاعة" لـ"السلالة". "الطاعة" لـ"المسيرة". "الجهاد" هو أن تموت. أن تموت في "الجبهة". أن تموت في "الحرب". أن تموت...

صمت الطالب.

قال العلامة:

" —الجهاد" ليس أن تقاتل "إسرائيل". ليس أن تقاتل "أمريكا". "الجهاد" هو أن تقاتل "الإرهاب". "الإرهاب" الذي في "اليمن". "الإرهاب" الذي في "مأرب". "الإرهاب" الذي في "تعز". "الإرهاب" الذي...

في القاعة، كانت "نادية ". كانت تسمع. كانت تعرف. كانت تعرف أن هذا "غسيل دماغ". كانت تعرف أن هذا "تضليل". كانت تعرف أن هذا " كذب".

لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تتكلم. لا تستطيع أن تعترض. لا تستطيع أن...

قالت لنفسها:

" —التوحيد" ليس "الولاية". "الجهاد" ليس "الطاعة". "الإسلام" ليس "السلالة". لكن... لكنهم يقولون هذا. يكررون هذا. يفرضون هذا. حتى يصدق الطلاب. حتى يقتنعوا. حتى يموتوا.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "محاضرات". على "غسيل دماغ". على "تضليل". على شعب صامت.

المشهد الثالث والثلاثون: من يتغيب يرسب

في مكتب صغير في جامعة صنعاء، كان "أبو سامي" يجلس. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على مكتبه أوراق. كان يقرأ. كان يكتب. كان يعد.

كان يعد "كشوفات الحضور". كان يعد قوائم. كان يعد أسماء الطلاب. أسماء من حضروا "الدورات". أسماء من تغيبوا. أسماء من يجب أن "يرسبوا". أسماء من يجب أن "يعاقبوا".

في الكشف الأول، كان هناك اسم "سامي". كان طالبًا. كان قد حضر "الدورات". كان قد "أطاع". كان قد "صفق". كان قد "هتف". لهذا، كان "ناجحًا". لهذا، كان "مقبولًا". لهذا، كان...

في الكشف الثاني، كان هناك اسم "خالد". كان طالبًا. كان قد تغيب عن "الدورات". كان قد "رفض". كان قد "اعترض". كان قد "سكت". لهذا، كان "راسبًا". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان...

في الكشف الثالث، كان هناك اسم "سامي". كان طالبًا. كان قد تغيب عن "الدورات". كان قد "رفض". كان قد "اعترض". كان قد "سكت". لهذا، كان "راسبًا". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان...

في الكشف الرابع، كان هناك اسم "نادية ". كانت طالبة. كانت قد تغيبت عن "الدورات". كانت قد "رفضت". كانت قد "اعترضت". كانت قد "سكتت". لهذا، كانت "راسبة". لهذا، كانت "مطرودة". لهذا، كانت...

أغلق أبو سامي الكشوفات. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة "السيد". ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده. كانت ابتسامة من يعرف أن الكشوفات ليست أوراقًا. الكشوفات سلاح. الكشوفات ترهيب. الكشوفات جريمة.

قال لنفسه:

—هذا هو "التعليم" الحقيقي. ليس الذي يأتي بالعلم. بل الذي يأتي بالخوف. الذي يأتي بالترهيب. الذي يأتي بالكشوفات.

في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن أسماءهم في الكشوفات. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يحضروا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن "خالد" رسب.

قال آخر:

—نعم. لأنه تغيب عن "الدورات."

قال الأول:

—وماذا سيحدث له؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُطرد. ربما سيُجند. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على كشوفات. على رسوب. على ترهيب. على شعب صامت.

قال أحدهم لنفسه:

—اسمي في الكشف. يجب أن أذهب. يجب أن أهتف. يجب أن أصفق. لكن... لكنني لا أريد. أنا لا أؤمن. أنا لا...

في الزاوية، كان هناك طالب. كان في الثامنة عشرة. كان ينظر إلى الكشف. كان ينظر إلى اسمه. كان ينظر إلى "راسب". قال:

—لماذا رسبت؟ لأنني لم أذهب إلى "الدورة"؟ لأنني لم أهتف؟ لأنني لم أصفق؟ لأنني...

صمت. لم يستطع أن يكمل. لم يستطع أن يقول إنه رسب لأنه حر. لأنه رفض. لأنه...

قال لنفسه:

—لكن... لكن هناك يوم. هناك فجر. هناك ٢٦ سبتمبر. هناك جمهورية. هناك حرية.

المشهد الرابع والثلاثون: الطلاب كجواسيس

في قاعة صغيرة في جامعة صنعاء، كان هناك "اجتماع". كان على الجدار لافتة. كان مكتوبًا عليها: "اجتماع الطلاب المكلفين". كان في القاعة عشرات الطلاب. كانوا جالسين. كانوا ينتظرون. كانوا يعرفون أنهم "مكلفون". كانوا يعرفون أنهم "جواسيس."

في المنصة، كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف "الطلاب المكلفين."

قال بصوت عالٍ:

—بسم الله الرحمن الرحيم. أنتم "الطلاب المكلفون". أنتم "عيون المسيرة". أنتم "آذان السلالة". أنتم...

نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن هذه "المهمة" ليست شرفًا. إنها "تجسس". إنها "خيانة". إنها "موت."

قال:

—مهمتكم بسيطة. أن تسمعوا. أن تنقلوا. أن تبلغوا. أن تبلغوا عن "الخونة". عن "العملاء". عن "المرتزقة". عن...

في القاعة، كان هناك طلاب. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يكتبوا. يجب أن ينقلوا. يجب أن يبلغوا. يجب أن...

قال أبو جعفر:

—من منكم يعرف "نادية "؟

صمتت القاعة.

قال:

—من منكم يعرف "نادية "؟ التي تتكلم. التي تكتب. التي تعترض. التي...

صمتت القاعة.

قال:

—لا أحد؟ لماذا؟ لأنكم خائفون. لأنكم ضعفاء. لأنكم...

صمت. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "نادية " هي "الهدف". كانوا يعرفون أنها "مطلوبة". كانوا يعرفون أنها يجب أن "تُبلغ". يجب أن "تُسلم". يجب أن...

في الزاوية، كان هناك طالب. كان في العشرينيات. كان اسمه "يوسف". كان قد "كُلف". كان قد "أطاع". كان قد "بلغ". لكنه كان يعرف. كان يعرف أن "نادية " ليست "خونة". كانت فقط "تتكلم". كانت فقط "تكتب". كانت فقط "تعترض". كانت فقط...

قال لنفسه:

—أنا لا أريد أن أبلغ. أنا لا أريد أن أخون. أنا لا أريد أن أكون "جاسوسًا". لكن... لكنني خائف. أنا خائف أن أرفض. أنا خائف أن أُعاقب. أنا خائف أن أُقتل.

في الخارج، كانت "نادية ". كانت تمشي. كانت تعرف أن هناك "طلابًا مكلفين". كانت تعرف أن هناك "جواسيس". كانت تعرف أن هناك "عيونًا". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

قالت لنفسها:

—أنا لا أخاف. أنا لا أخاف من "الجواسيس". أنا لا أخاف من "الطلاب المكلفين". أنا لا أخاف من "المشرفين". أنا أخاف فقط من "الصمت". من "الخوف". من "الموت."

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "اجتماعات". على "تجسس". على "خيانة". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الباب الرابع: التعليم
الفصل العاشر: الجامعة

المشهد الخامس والثلاثون: المناهج المسيسة

في قاعة صغيرة داخل كلية الإعلام في جامعة صنعاء، كان "الدكتور عبدالله" يجلس أمام مكتبه. كان في الستينيات. كان أستاذًا منذ ثلاثين سنة. كان يحب العلم. كان يحب الطلاب. كان يحب وطنه. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى المناهج تتغير. كان يرى العلم يتحول إلى سياسة. كان يرى الجامعة تتحول إلى ثكنة.

في ذلك اليوم، دخل عليه "أبو سامي". كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو سامي". كان مشرف المناهج.

قال:

—يا دكتور عبدالله. عندنا "تعديلات" جديدة.

قال الدكتور:

—أي تعديلات؟

قال:

—تعديلات في المناهج. في "الثقافة الوطنية". في "الصراع العربي الإسرائيلي". في كل شيء.

قال:

—لكن هذه مناهج معتمدة. هذه مناهج...

قال:

—لا. هذه مناهج قديمة. مناهج "الجمهورية". نحن الآن في "المسيرة". نحن الآن في "السلالة". نحن الآن في...

صمت الدكتور عبدالله.

قال:

—ماذا تريدون أن ندرس؟

قال:

" —الثقافة الجهادية". "تاريخ السلالة". "الولاية". "المسيرة". "طوفان الأقصى". "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام."

صمت الدكتور.

قال:

—هذا ليس تعليمًا. هذا...

قال:

—هذا هو التعليم. التعليم الحقيقي. التعليم الذي يبني "المجاهد". الذي يبني "الشهيد". الذي يبني...

قال:

—لكن هذا يخالف العلم. يخالف المنطق. يخالف...

قال:

—لا يهم. نحن لا نريد "العلم". نحن لا نريد "المنطق". نحن نريد "الطاعة". نريد "الولاء". نريد...

صمت الدكتور عبدالله.

في الأسبوع التالي، جاءت المناهج الجديدة. كانت كتبًا جديدة. كانت أغلفتها تحمل صورة "السيد". كانت صفحاتها تحمل شعارات. كانت دروسها تحمل "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام."

فتح الدكتور عبدالله الكتاب الأول. كان عنوانه: "الثقافة الجهادية – المستوى الأول". قرأ:

" —الجهاد هو ذروة سنام الإسلام. والجهاد في زماننا هذا هو الجهاد ضد أمريكا وإسرائيل. والجهاد ضد أعداء المسيرة. والجهاد ضد الخونة والعملاء"...

أغلق الكتاب. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة قديمة. صورة جامعة صنعاء. في السبعينيات. كانت جميلة. كانت حرة. كانت...

قال لنفسه:

—هذا ليس تعليمًا. هذا غسيل دماغ. هذا تجنيد. هذا موت. لكن... لكنني لا أستطيع أن أرفض. لا أستطيع أن أعترض. لا أستطيع أن...

في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا يحملون الكتب الجديدة. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يدرسوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن الدكتور عبدالله رفض المناهج الجديدة.

قال آخر:

—نعم. لكنه اضطر أن يقبل. لأنه لو رفض، سيُفصل. سيُعتقل. سيُقتل.

قال الأول:

—وماذا سيحدث للطلاب؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيتعلمون. ربما سيقتنعون. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على مناهج. على مسيسة. على غسيل دماغ. على شعب صامت.

المشهد السادس والثلاثون: الثقافة الوطنية

في قاعة كبيرة في كلية الإعلام، كان "الدكتور عبدالله" يقف أمام الصف. كان في الستينيات. كان يرتدي بدلة. كان يحمل كتابًا. كان على الغلاف: "الثقافة الوطنية – الطبعة الجديدة."

قال:

—اليوم، سنتكلم عن "الثقافة الوطنية."

فتح الكتاب. قرأ:

" —الثقافة الوطنية هي أن تعرف من أنت. أنت يمني. يمني من "السلالة". من "آل البيت". من "الهاشميين". أنت من "السلالة" التي حكمت اليمن ألف سنة. أنت من "السلالة" التي ستحكم اليمن ألف سنة أخرى. أنت من "السلالة" التي...

صمت الدكتور عبدالله. نظر إلى الطلاب. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يحفظون. لكنه كان يعرف. كان يعرف أن هذا ليس "ثقافة وطنية". هذا "ثقافة سلالية". هذا "ثقافة كهنوتية". هذا "ثقافة كذب."

قال:

—لكن... لكن هذا ليس صحيحًا. "الثقافة الوطنية" ليست "السلالة". "الثقافة الوطنية" هي أن تعرف أن اليمن جمهورية. أن اليمن حر. أن اليمن...

في الصف، كان هناك "طالب مراقب". كان يكتب. كان ينقل. كان يبلغ. رفع يده. قال:

—يا دكتور. هذا يخالف "المنهج". "المنهج" يقول إن اليمن "السلالة". "المنهج" يقول إن اليمن "آل البيت". "المنهج" يقول...

صمت الدكتور عبدالله.

قال:

—أنا... أنا أشرح "المنهج". أنا فقط... أنا فقط...

قال الطالب:

—لا. أنت تخالف "المنهج". أنت تقول إن اليمن "جمهورية". هذا "تحريض". هذا "خيانة". هذا...

صمت الدكتور.

في الأسبوع التالي، جاء "أبو سامي". قال:

—يا دكتور عبدالله. سمعنا أنك تخالف "المنهج."

قال:

—لا. أنا فقط...

قال:

—لا. أنت "تحرض". أنت "تخون". أنت...

قال:

—لكنني...

قال:

—أنت ممنوع من التدريس. من اليوم. ستحاسب.

خرج.

جلس الدكتور عبدالله. على الكرسي. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن الدكتور سيرحل. كانوا يعرفون أنهم سيبقون. كانوا يعرفون أن "المنهج" سيبقى. كانوا يعرفون أن "الثقافة الوطنية" أصبحت "الثقافة السلالية". أصبحت "الثقافة الكهنوتية". أصبحت "الثقافة الكاذبة."

في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا يحملون الكتاب. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يدرسوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن الدكتور عبدالله فُصل.

قال آخر:

—نعم. لأنه خالف "المنهج."

قال الأول:

—وماذا سيحدث له؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُعتقل. ربما سيُقتل. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "ثقافة وطنية". على "ثقافة سلالية". على "ثقافة كاذبة". على شعب صامت.

في قاعة أخرى في كلية الإعلام، كان "الدكتور سامي" يقف أمام الصف. كان في الخمسينيات. كان يرتدي بدلة. كان يحمل كتاباً. كان على الغلاف: "الصراع العربي الإسرائيلي - الطبعة الجديدة."

قال:

—اليوم، سنتكلم عن "الصراع العربي الإسرائيلي."

فتح الكتاب. قرأ:

" —الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع وجود. صراع بين الحق والباطل. صراع بين الإسلام والكفر. صراع بين "المسيرة" و"إسرائيل". صراع بين "السلالة" و"أمريكا". صراع بين...

صمت الدكتور سامي. نظر إلى الطلاب. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يحفظون. لكنه كان يعرف. كان يعرف أن هذا ليس "تاريخًا". هذا "دعاية". هذا "تضليل". هذا "كذب."

قال:

—لكن... لكن هذا ليس صحيحًا. "الصراع العربي الإسرائيلي" ليس "صراعًا" بين "المسيرة" و"إسرائيل". "الصراع" هو صراع على الأرض. على الحقوق. على...

في الصف، كان هناك "طالب مراقب". رفع يده. قال:

—يا دكتور. هذا يخالف "المنهج". "المنهج" يقول إن "الصراع" هو "صراع" بين "المسيرة" و"إسرائيل". "المنهج" يقول إن "المسيرة" هي التي تحارب "إسرائيل". "المنهج" يقول...

صمت الدكتور سامي.

قال:

—أنا... أنا أشرح "المنهج". أنا فقط... أنا فقط...

قال الطالب:

—لا. أنت تخالف "المنهج". أنت تقول إن "الصراع" ليس "صراع" "المسيرة". هذا "تحريض". هذا "خيانة". هذا...

صمت الدكتور.

في الأسبوع التالي، جاء "أبو سامي". قال:

—يا دكتور سامي. سمعنا أنك تخالف "المنهج."

قال:

—لا. أنا فقط...

قال:

—لا. أنت "تحرض". أنت "تخون". أنت...

قال:

—لكنني...

قال:

—أنت ممنوع من التدريس. من اليوم. ستحاسب.

خرج.

جلس الدكتور سامي. على الكرسي. نظر إلى الطلاب. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن الدكتور سيرحل. كانوا يعرفون أنهم سيبقون. كانوا يعرفون أن "المنهج" سيبقى. كانوا يعرفون أن "الصراع العربي الإسرائيلي" أصبح "الصراع السلالي". أصبح "الصراع الكهنوتي". أصبح "الصراع الكاذب."
في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا يحملون الكتاب. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يدرسوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...
قال أحدهم:
—سمعت أن الدكتور سامي فُصل.
قال آخر:
—نعم. لأنه خالف "المنهج."
قال الأول:
—وماذا سيحدث له؟
قال الثاني:
—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سيُعتقل. ربما سيُقتل. ربما...
صمت.
في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "صراع". على "تضليل". على "كذب". على شعب صامت.

في مكتب صغير في كلية الإعلام، كان "الدكتور عبدالله" يجلس. كان في الستينيات. كان قد فُصل. كان قد رفض "المناهج الجديدة". كان قد رفض "الثقافة السلالية". كان قد رفض "التضليل". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان "ممنوعًا". لهذا، كان...

في ذلك اليوم، جاءه "الدكتور سامي". كان في الخمسينيات. كان قد فُصل. كان قد رفض "المناهج الجديدة". كان قد رفض "الصراع السلالي". كان قد رفض "الكذب". لهذا، كان "مطرودًا". لهذا، كان "ممنوعًا". لهذا، كان...

قال الدكتور سامي:

—يا دكتور عبدالله. ماذا سنفعل؟

قال الدكتور عبدالله:

—لا أعرف. لا أحد يعرف. نحن... نحن "مطرودون". نحن "ممنوعون". نحن...

قال:

—لكننا أساتذة. أساتذة جامعيون. أساتذة...

قال:

—لا يهم. الجامعة لم تعد جامعة. الجامعة أصبحت "ثكنة". "ثكنة" لـ"السلالة". "ثكنة" لـ"المسيرة". "ثكنة" لـ...

صمت.

قال الدكتور سامي:

—سمعت أن "الدكتور فؤاد" استقال.

قال:

—نعم. استقال. رفض أن يدرس "المناهج الجديدة."

قال:

—و"الدكتورة سعاد"؟

قال:

—استقالت. رفضت أن تدرس "الثقافة السلالية."

قال:

—و"الدكتور خالد"؟

قال:

—استقال. رفض أن يدرس "الصراع الكاذب."

صمت.

قال الدكتور عبدالله:

—كلنا استقلنا. كلنا رفضنا. كلنا... كلنا "مطرودون."

قال:

—لكن... لكن ماذا سنفعل؟ كيف سنعيش؟ كيف...

قال:

—لا نعرف. لكننا نعرف شيئًا واحدًا. لن ندرس "الكذب". لن ندرس "التضليل". لن ندرس "السلالة". سنبقى في بيوتنا. سنبقى صامتين. لكننا لن نشارك في "الجريمة."

في الخارج، كان الطلاب. كانوا يمشون. كانوا يحملون الكتب. كانوا يعرفون أن الأساتذة رحلوا. كانوا يعرفون أن "المناهج" تغيرت. كانوا يعرفون أن "الجامعة" تغيرت. كانوا يعرفون أن "التعليم" مات.

قال أحدهم:

—سمعت أن كل الأساتذة استقالوا.

قال آخر:

—نعم. كلهم. رفضوا "المناهج الجديدة."

قال الأول:

—وماذا سيحدث لنا؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنتعلم "الكذب". ربما سنتعلم "التضليل". ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "جامعة". على "أساتذة". على "استقالات". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الباب الرابع: التعليم
الفصل الحادي عشر: المدارس

المشهد التاسع والثلاثون: تحريف المناهج

في مدرسة صغيرة في حي "شعوب" في صنعاء، كان "الأستاذ فؤاد" يقف أمام الصف. كان في الأربعينيات. كان مدرسًا منذ خمسة عشر سنة. كان يحب الأطفال. كان يحب التعليم. كان يحب وطنه. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى المناهج تتغير. كان يرى الكتب تتحول. كان يرى المدرسة تتحول.

في ذلك اليوم، جاء "أبو راكان". كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو راكان". كان مشرف المدرسة.

قال:

—يا أستاذ فؤاد. عندنا "مناهج جديدة."

قال الأستاذ:

—أي مناهج؟

قال:

—مناهج "المسيرة". مناهج "السلالة". مناهج "الجهاد". مناهج...

قال:

—لكن هذه مناهج قديمة. هذه مناهج "الجمهورية". هذه مناهج...

قال:

—لا. هذه مناهج "الكفر". مناهج "الجاهلية". مناهج "العدوان". نحن الآن في "المسيرة". نحن الآن في "السلالة". نحن الآن في...

صمت الأستاذ فؤاد.

قال:

—ماذا تريدون أن ندرس؟

قال:

" —الثقافة الجهادية". "تاريخ السلالة". "الولاية". "المسيرة". "طوفان الأقصى". "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام."

صمت الأستاذ.

قال:

—هذا ليس تعليمًا. هذا...

قال:

—هذا هو التعليم. التعليم الحقيقي. التعليم الذي يبني "المجاهد". الذي يبني "الشهيد". الذي يبني...

قال:

—لكن هذا يخالف العلم. يخالف المنطق. يخالف...

قال:

—لا يهم. نحن لا نريد "العلم". نحن لا نريد "المنطق". نحن نريد "الطاعة". نريد "الولاء". نريد...

صمت الأستاذ فؤاد.

في الأسبوع التالي، جاءت المناهج الجديدة. كانت كتبًا جديدة. كانت أغلفتها تحمل صورة "السيد". كانت صفحاتها تحمل شعارات. كانت دروسها تحمل "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام."

فتح الأستاذ فؤاد الكتاب الأول. كان عنوانه: "الثقافة الجهادية - المستوى الأول". قرأ:

" —الجهاد هو ذروة سنام الإسلام. والجهاد في زماننا هذا هو الجهاد ضد أمريكا وإسرائيل. والجهاد ضد أعداء المسيرة. والجهاد ضد الخونة والعملاء"...

أغلق الكتاب. نظر إلى الجدار. كان هناك صورة قديمة. صورة مدرسة. في السبعينيات. كانت جميلة. كانت حرة. كانت...

قال لنفسه:

—هذا ليس تعليمًا. هذا غسيل دماغ. هذا تجنيد. هذا موت. لكن... لكنني لا أستطيع أن أرفض. لا أستطيع أن أعترض. لا أستطيع أن...

في الخارج، كان الأطفال. كانوا يلعبون. كانوا يضحكون. كانوا لا يعرفون أن "المناهج" تغيرت. لا يعرفون أن "التعليم" مات. لا يعرفون أن "المستقبل" ضاع.

قال أحدهم:

—سمعت أن "المناهج" تغيرت.

قال آخر:

—نعم. "المناهج" الجديدة. "مناهج المسيرة". "مناهج السلالة."

قال الأول:

—وماذا سيحدث لنا؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنتعلم "الكذب". ربما سنتعلم "التضليل". ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "مناهج". على "تحريف". على "غسيل دماغ". على شعب صامت.

المشهد الأربعون: تجنيد الأطفال

في مدرسة صغيرة في حي "الروضة"، كان "الأستاذ خالد" يقف أمام الصف. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا منذ ثلاثين سنة. كان يحب الأطفال. كان يحب التعليم. كان يحب وطنه. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى الأطفال يتجندون. كان يرى الطلاب يتحولون. كان يرى المدرسة تتحول.

في ذلك اليوم، دخل "أبو جعفر". كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف "التجنيد."

قال:

—يا أستاذ خالد. عندنا "مهمة."

قال الأستاذ:

—أي مهمة؟

قال:

" —التجنيد". "تجنيد الأطفال". "تجنيد الطلاب". "تجنيد الشباب". "تجنيد...

قال:

—لكن هؤلاء أطفال. هؤلاء طلاب. هؤلاء...

قال:

—لا يهم. "المسيرة" تحتاج. "السلالة" تحتاج. "الجبهة" تحتاج. "الحرب" تحتاج.

قال:

—لكن هذا حرام. هذا...

قال:

—حرام؟ ومن قال إننا نتبع الحلال؟ نحن نتبع "المسيرة". "المسيرة" تقول: "جندوا الأطفال". "المسيرة" تقول: "أرسلوهم إلى الجبهة". "المسيرة" تقول: "اجعلوهم شهداء."

صمت الأستاذ خالد.

قال:

—ماذا تريدون أن نفعل؟

قال:

—نريد أن "نحشد". نريد أن "نجند". نريد أن "نرسل". نريد أن...

قال:

—لكن...

قال:

—لا "لكن". هذه "توجيهات". من فوق. من "السيد". من "صعدة". من "مران."

صمت الأستاذ خالد.

في الأسبوع التالي، بدأ "التجنيد". كانوا يأتون إلى المدرسة. كانوا يختارون الأطفال. كانوا يختارون الطلاب. كانوا يختارون الشباب. كانوا يقولون:

—أنت. تعال. أنت. تعال. أنت. تعال.

في الصف، كان هناك طفل. كان في الثانية عشرة. كان اسمه "محمد". كان يحب اللعب. كان يحب الضحك. كان يحب الحياة. جاءوا إليه. قالوا:

—أنت. تعال.

قال:

—لماذا؟

قالوا:

" —الجهاد". "الجهاد" في سبيل الله. "الجهاد" في سبيل "المسيرة". "الجهاد" في سبيل...

قال:

—لكنني طفل. أنا في الثانية عشرة. أنا...

قالوا:

—لا يهم. "المسيرة" تحتاج. "السلالة" تحتاج. "الجبهة" تحتاج.

أخذوه.

في الخارج، كانت أمه. كانت تبكي. كانت تقول:

—ابني. ابني. لماذا أخذوه؟ لأنه طفل؟ لأنه في الثانية عشرة؟ لأنه...

صمتت. لم تستطع أن تكمل. لم تستطع أن تقول إنهم أخذوه ليموت. ليموت في "الجبهة". ليموت في "الحرب". ليموت...

في الأسبوع التالي، جاء خبر. قالوا:

" —محمد" مات. في "الجبهة". كان "شهيدًا."

صمتت الأم. لم تبك. لم تصرخ. فقط، جلست. على الأرض. نظرت إلى الصورة. صورة محمد. في الثانية عشرة. كان يبتسم. كان يلعب. كان حيًا.

الآن، لم يكن هناك صورة. فقط، ذكرى. فقط، ألم. فقط، موت.

قالت لنفسها:

—لماذا؟ لماذا أخذوا ابني؟ لماذا جندوا طفلًا؟ لماذا قتلوه؟ لماذا...

لم تجب. لم يكن هناك جواب. فقط، صمت. فقط، ألم. فقط، موت.
في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "تجنيد". على "أطفال". على "موت". على شعب صامت.

المشهد الحادي والأربعون: مناهج الكهنوت

في قاعة صغيرة في مدرسة في حي "الجراف"، كان "الأستاذ سامي" يقف أمام الصف. كان في الثلاثينيات. كان مدرسًا منذ عشر سنوات. كان يحب الأطفال. كان يحب التعليم. كان يحب وطنه. لكنه كان يرى ما يحدث. كان يرى "المناهج" تتحول. كان يرى "الكتب" تتغير. كان يرى "المدرسة" تتحول إلى "ثكنة."

في ذلك اليوم، كان يدرس "المنهج الجديد". كان عنوانه: "الثقافة الجهادية – المستوى الثاني". قرأ:

" —الجهاد هو ذروة سنام الإسلام. والجهاد في زماننا هذا هو الجهاد ضد أمريكا وإسرائيل. والجهاد ضد أعداء المسيرة. والجهاد ضد الخونة والعملاء. والجهاد هو أن تموت. أن تموت في "الجبهة". أن تموت في "الحرب". أن تموت"...

صمت الأستاذ سامي. نظر إلى الأطفال. كانوا يسمعون. كانوا يكتبون. كانوا يحفظون. لكنه كان يعرف. كان يعرف أن هذا ليس "تعليمًا". هذا "غسيل دماغ". هذا "تجنيد". هذا "موت."

قال:

—لكن... لكن هذا ليس صحيحًا. "الجهاد" ليس "الموت". "الجهاد" ليس "الحرب". "الجهاد" هو...

في الصف، كان هناك "طالب مراقب". رفع يده. قال:

—يا أستاذ. هذا يخالف "المنهج". "المنهج" يقول إن "الجهاد" هو "الموت". "المنهج" يقول إن "الجهاد" هو "الحرب". "المنهج" يقول...

صمت الأستاذ سامي.

قال:

—أنا... أنا أشرح "المنهج". أنا فقط... أنا فقط...

قال الطالب:

—لا. أنت تخالف "المنهج". أنت تقول إن "الجهاد" ليس "الموت". هذا "تحريض". هذا "خيانة". هذا...

صمت الأستاذ.

في الأسبوع التالي، جاء "أبو سامي". قال:

—يا أستاذ سامي. سمعنا أنك تخالف "المنهج."

قال:

—لا. أنا فقط...

قال:

—لا. أنت "تحرض". أنت "تخون". أنت...

قال:

—لكنني...

قال:

—أنت ممنوع من التدريس. من اليوم. ستحاسب.

خرج.

جلس الأستاذ سامي. على الكرسي. نظر إلى الأطفال. كانوا صامتين. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن الأستاذ سيرحل. كانوا يعرفون أنهم سيبقون. كانوا يعرفون أن "المنهج" سيبقى. كانوا يعرفون أن "مناهج الكهنوت" ستبقى. ستبقى لتعلمهم "الموت". لتعلمهم "الحرب". لتعلمهم "الكذب."

في الخارج، كان الأطفال. كانوا يمشون. كانوا يحملون الكتب. كانوا يعرفون أنهم يجب أن يدرسوا. يجب أن يحفظوا. يجب أن يطيعوا. يجب أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن الأستاذ سامي فُصل.

قال آخر:

—نعم. لأنه خالف "المنهج."

قال الأول:

—وماذا سيحدث لنا؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنتعلم "الموت". ربما سنتعلم "الحرب". ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "مناهج". على "كهنوت". على "غسيل دماغ". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم .سنقاوم. سنعيش.

الباب الخامس: ٢١ سبتمبر
الفصل الثاني عشر: يوم الجوع

المشهد الثاني والأربعون: كيف بدأ كل شيء

في شقة صغيرة في حي "شعوب" في صنعاء، كان "أبو سامي" يجلس أمام التلفاز. كان في الخمسينيات. كان موظفًا. كان يحب الحياة الهادئة. كان يحب أن يجلس مع أولاده. كان يحب أن يقرأ. لكنه كان يعرف أن الحياة لم تعد هادئة. كان يعرف أن هناك شيئًا يحدث. كان يعرف أن هناك شيئًا قادمًا.

في ذلك اليوم، كان التلفاز يعرض "بيانًا". كان هناك رجل. كان يرتدي زيًا عسكريًا. كان يقف أمام الكاميرا. كان يقول:

—بسم الله الرحمن الرحيم. يا جماهير الشعب اليمني. يا أحفاد السلالة. يا أنصار الله. اليوم، نعلن "الثورة". "ثورة ٢١ سبتمبر". "ثورة" ضد "الفساد". "ثورة" ضد "الظلم". "ثورة" ضد...

نظر أبو سامي إلى التلفاز. كان يعرف. كان يعرف أن هذا ليس "ثورة". كان يعرف أن هذا "انقلاب". كان يعرف أن هذا "استيلاء". لكنه لم يقل شيئًا. كان خائفًا. كان الجميع خائفين.

قالت زوجته:

—ماذا يحدث؟

قال:

—لا أعرف. لكنني أخاف.

قالت:

—لماذا؟

قال:

—لأنني أعرف هؤلاء. أعرف ما يريدون. أعرف ما سيفعلون.

قالت:

—ماذا سيفعلون؟

قال:

—سيسرقون. سينهبون. سيقتلون. سيجوعون. سيفعلون كل شيء.

صمتت.

في الشارع، كان هناك هتافات. كان هناك مسيرات. كان هناك أعلام. كان هناك "الله أكبر". كان هناك "الموت لأمريكا". كان هناك "لعنة على اليهود". كان هناك "النصر للإسلام."

نظر أبو سامي من النافذة. رأى الناس. كانوا يهتفون. كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يبدون سعداء. لكنه كان يعرف. كان يعرف أن معظمهم لم يأتوا بإرادتهم. كانوا قد أُجبروا. كانوا قد خافوا. كانوا قد...

قال لنفسه:

—هذا ليس "ثورة". هذا "انقلاب". هذا "استيلاء". لكن... لكنني لا أستطيع أن أتكلم. لا أستطيع أن أعترض. لا أستطيع أن...

في الأسبوع التالي، بدأت الأمور تتغير. بدأ "المشرفون" يظهرون. بدأ "الجبايات" تفرض. بدأ "الرواتب" تتأخر. بدأ "الجوع" يزحف. بدأ "الخوف" ينتشر.

قال أبو سامي لزوجته:

—بدأوا.

قالت:

—ماذا بدأوا؟

قال:

" —الجوع". "الجوع" الذي كنا نخاف منه. "الجوع" الذي كنا ننتظره. "الجوع" الذي...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "ثورة". على "انقلاب". على "جوع". على شعب صامت.

المشهد الثالث والأربعون: انقطاع الرواتب

في مكتب صغير في إحدى الوزارات في صنعاء، كان "أبو سامي" يجلس أمام مكتبه. كان في الخمسينيات. كان موظفًا. كان يحب عمله. كان يحب أن يخدم

وطنه. كان يحب أن يستلم راتبه في نهاية كل شهر. لكنه كان يعرف أن هذا الشهر مختلف. كان يعرف أن الراتب لن يأتي. كان يعرف أن الراتب قد انقطع. في ذلك اليوم، جاء زميله. كان في الأربعينيات. كان اسمه "أبو خالد". كان وجهه شاحبًا. كان يحمل ورقة. قال:

—يا أبو سامي. سمعت؟

قال:

—ماذا؟

قال:

—الراتب. لن يأتي.

قال:

—لماذا؟

قال:

—لا أعرف. قالوا إن "المسيرة" تحتاج. قالوا إن "الحرب" تحتاج. قالوا إن "الجبهة" تحتاج. قالوا إن...

قال:

—لكن هذا راتبنا. هذا حقنا. هذا...

قال:

—لا يهم. "المسيرة" تحتاج. "السلالة" تحتاج. "الجبهة" تحتاج. نحن... نحن لا نحتاج.

صمت أبو سامي.
في الأسبوع التالي، لم يأتِ الراتب. في الأسبوع الذي بعده، لم يأتِ الراتب.
في الشهر التالي، لم يأتِ الراتب. في الشهر الذي بعده، لم يأتِ الراتب.
بدأ "الجوع". بدأ "الفقر". بدأ "الذل."
قالت زوجته:
—ماذا سنفعل؟
قال:
—لا أعرف.
قالت:
—ماذا سنأكل؟
قال:
—لا أعرف.
قالت:
—كيف سنعيش؟
قال:
—لا أعرف.
صمت.

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن الرواتب انقطعت. كانوا يعرفون أن الجوع قادم. كانوا يعرفون أن الذل قادم. كانوا يعرفون أن...

قال أحدهم:

—سمعت أن الرواتب انقطعت.

قال آخر:

—نعم. انقطعت. منذ شهرين.

قال الأول:

—وماذا سنفعل؟

قال الثاني:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنموت. ربما سنموت جوعًا. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "رواتب". على "انقطاع". على "جوع". على شعب صامت.

المشهد الرابع والأربعون: الجوع... الفقر... الذل

في بيت صغير في حي "شعوب"، كانت "أم محمد" تجلس على الأرض. كانت في الأربعينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان يبكي. كان جائعًا.

قالت أم محمد لزوجها:

—ماذا سنفعل؟ الطفل جائع. أنا جائعة. كلنا جائعون.

قال أبو محمد:

—لا أعرف. لا يوجد طعام. لا يوجد مال. لا يوجد شيء.

قالت:

—لكننا كنا نأكل. كنا نشرب. كنا نعيش. ماذا حدث؟

قال:

" —المسيرة". "المسيرة" أخذت كل شيء. أخذت الرواتب. أخذت الأموال. أخذت الطعام. أخذت كل شيء.

قالت:

—لكننا لم نفعل شيئًا. نحن أناس بسطاء. نحن...

قال:

—لا يهم. "المسيرة" لا تسأل. "المسيرة" تأخذ. فقط.

صمتت.

في الخارج، كان الجوع. كان الجوع يزحف. كان الجوع يقتل. كان الجوع يدمر. كان الجوع...

قالت أم محمد لزوجها:

—سمعت أن هناك "جمعيات". "جمعيات" توزع الطعام. "جمعيات" تساعد.

قال:

—لا. هذه "جمعيات" وهمية. هذه "جمعيات" تابعة للمليشيا. هذه "جمعيات" تسرق. تسرق الطعام. تسرق المال. تسرق...

قالت:

—إذن ماذا نفعل؟

قال:

—لا أعرف. لا أحد يعرف. ربما نصبر. ربما نموت. ربما...

صمت.

في الخارج، كان الجوع. كان الجوع يزحف. كان الجوع يقتل. كان الجوع يدمر.

قالت أم محمد لنفسها:

—لماذا؟ لماذا نحن؟ لماذا نموت جوعًا؟ لماذا...

في الزاوية، كانت هناك صورة. صورة العائلة. في يوم من الأيام. كانوا يبتسمون. كانوا سعداء. كانوا يعيشون. الآن، لم تكن هناك صورة. فقط، جوع. فقط، فقر. فقط، ذل.

في حي آخر، في "الروضة"، كان "أبو خالد" يجلس أمام محله. كان في الخمسينيات. كان تاجرًا. كان يحب التجارة. كان يحب الحياة. لكنه كان يعرف

أن الحياة تغيرت. كان يعرف أن هناك "جبايات". كان يعرف أن هناك "ضرائب". كان يعرف أن هناك "سرقة."

في ذلك اليوم، جاء "أبو راكان". كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على حزامه خنجر. كان اسمه "أبو راكان". كان مشرف الحي.

قال:

—يا أبو خالد. عندنا "جباية."

قال:

—أي جباية؟

قال:

" —جباية المسيرة". "جباية السلالة". "جباية الجهاد". "جباية...

قال:

—لكنني أدفع. أدفع كل شهر. أدفع...

قال:

—لا. هذا "شهر". "الشهر" الجديد. "الجباية" الجديدة. "الضرائب" الجديدة.

قال:

—لكنني لا أستطيع. المحل ضعيف. البيع قليل. الحال...

قال:

—لا يهم. "المسيرة" تحتاج. "السلالة" تحتاج. "الجبهة" تحتاج.

قال:

—لكنني...

قال:

—إذا لم تدفع. سنغلق المحل. سنصادر البضاعة. سنفعل بك ما نريد.

صمت أبو خالد.

في الأسبوع التالي، أُغلق المحل. صودرت البضاعة. خسر أبو خالد كل شيء. كل شيء.

قال لنفسه:

—لماذا؟ لماذا يأخذون؟ لماذا يسرقون؟ لماذا...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "جبايات". على "سرقة". على "ذل". على شعب صامت.

المشهد الخامس والأربعون: تكميم الأفواه

في مقهى صغير في شارع "الزبيري"، كان "الأستاذ حمود" يجلس مع أصدقائه. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا متقاعدًا. كان يحب الكلام. كان يحب النقاش. كان يحب أن يقول ما في قلبه. لكنه كان يعرف أن الكلام أصبح خطرًا. كان يعرف أن النقاش أصبح جريمة. كان يعرف أن القلب أصبح سجنًا.

في ذلك اليوم، كان يتحدث. كان يقول:

—الوضع صعب. الأسعار ارتفعت. الرواتب انقطعت. الناس جائعة. الأطفال يموتون. هذا ليس عدلًا. هذا ليس...

صمت فجأة. كان يعرف أنه قال الكثير. كان يعرف أن هناك من يسمع. كان يعرف أن هناك من يراقب. نظر حوله. كان هناك رجال. كانوا يشربون الشاي. كانوا يقرؤون الصحف. كانوا يبدون عاديين. لكنه كان يعرف. كان يعرف أنهم ليسوا عاديين.

قال صديقه:

—يا حمود. اسكت. لا تتكلم. إذا سمعوك...

قال حمود:

—وماذا سيفعلون؟ أنا رجل عجوز. أنا مدرس متقاعد. أنا لا أخاف.

قال صديقه:

—يجب أن تخاف. الجميع يخاف. الذين لا يخافون... يختفون.

صمت حمود.

في المساء، عاد إلى بيته. كان البيت صغيرًا. كان في حي "شعوب". كان فيه غرفة. كان فيه مطبخ. كان فيه حمام. كان فيه زوجته. كان فيه ابنه. كان فيه جوع.

دق الباب. دقًا قويًا. دقًا عنيفًا. دقًا مرعبًا.

قال حمود:

—من؟

لم يجب أحد.
فتح الباب. كان هناك رجال. كانوا يرتدون ثيابًا عسكرية. كانوا يحملون بنادق. كانوا ملثمين. كان اسمهم "الأمن والمخابرات."
قال أحدهم:
—أنت حمود؟
قال:
—نعم.
قال:
—تعال معنا.
قال:
—لماذا؟
قال:
—لا تسأل. تعال.
قال:
—لكنني...
قال:
—لا تتكلم. تعال.
أخذوه.

في الزنزانة، كان جالسًا. على الأرض. كان الظلام. كان الصمت. كان الخوف. كان السؤال. لماذا أنا هنا؟ ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟

جاء رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنت حمود؟

قال:

—نعم.

قال:

—أنت متهم بالتحريض.

قال:

—التحريض؟ أنا لم أحرض. أنا فقط قلت...

قال:

—قلت ماذا؟

قال:

—قلت إن الوضع صعب. قلت إن الناس جائعة. قلت إن...

قال:

—هذا تحريض. هذا تحريض على الدولة. هذا تحريض على المسيرة. هذا...

قال:

—لكنني قلت الحقيقة. الحقيقة ليست تحريضًا.

قال:

—الحقيقة؟ الحقيقة هي ما نقوله نحن. ليس ما تقوله أنت. أنت لا يحق لك أن تقول الحقيقة. أنت فقط تنفذ. أنت فقط تصمت. أنت فقط...

صمت حمود.

في الأيام التالية، كانت هناك تحقيقات. كانت هناك أسئلة. كانت هناك اتهامات. كانوا يقولون:

—اعترف. اعترف أنك عميل. اعترف أنك مرتزق. اعترف أنك...

قال:

—أعترف بماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا. أنا فقط قلت رأيي. أنا...

قالوا:

—الرأي ليس لك. الرأي لنا. أنت فقط... أنت فقط تصمت.

صمت.

في الزنزانة، كان هناك رجال آخرون. كانوا جالسين. كانوا يبكون. كانوا يعرفون أن لا أحد سيأتي. كانوا يعرفون أن لا أحد سيسمع. كانوا يعرفون أن كل شيء انتهى.

قال أحد السجناء:

—أنا هنا منذ سنة. لم أرَ قاضيًا. لم أرَ محكمة. لم أرَ شيئًا. فقط، زنزانة. فقط، ظلام. فقط، صمت.

قال آخر:

—أنا هنا منذ ستة أشهر. أخذوني لأنني قلت كلمة. كلمة واحدة. عن "الرواتب". عن "الجوع". عن "الحق."

قال حمود:

—ماذا سيحدث لنا؟

قال السجين:

—لا نعرف. لا أحد يعرف. ربما سنبقى هنا. ربما سنموت. ربما...

صمت.

في الخارج، كانت زوجته. كانت تنتظر. كانت تسأل. كانت تبحث. لكنها لم تجد شيئًا. فقط، صمت. فقط، خوف. فقط، ألم.

قالت لنفسها:

—حمود. يا حمود. لماذا تكلمت؟ لماذا قلت؟ لماذا...

في الزنزانة، كان حمود. كان يعرف. كان يعرف أنه اعتقل لأنه تكلم. لأنه قال الحقيقة. لأنه لم يصمت. لكنه كان يعرف أيضًا أنه لو عاد، سيتكلم مرة أخرى. لأنه لا يستطيع أن يصمت. لأنه لا يستطيع أن يخاف. لأنه لا يستطيع أن يموت صامتًا.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "رواتب". على "انقطاع". على "جوع". على "تكميم أفواه". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

المشهد السادس والأربعون: أين الحرية؟

في مقهى صغير في شارع "حدة"، كان "أبو سامي" يجلس مع صديقه "أبو خالد". كانا يشربان الشاي. كانا يراقبان المارة. كانا يسمعان الضجيج. كانا يريان "المسيرة" في الشارع. كانوا يهتفون. كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يقولون: "الحرية". "الحرية". "الحرية."

قال أبو سامي:

—أين الحرية؟

قال أبو خالد:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أين الحرية التي يتحدثون عنها؟ أين الحرية التي وعدونا بها؟ أين الحرية التي...

قال:

—لا أعرف. لكنني لا أراها.

قال:

—ولا أنا. أرى "المسيرات". أرى "الهتافات". أرى "الأعلام". لكنني لا أرى "الحرية."

صمت.

في الشارع، كانت هناك "مسيرة". كان الناس يهتفون. كانوا يقولون: "الموت لأمريكا". "لعنة على اليهود". "النصر للإسلام". كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يرفعون الشعارات. كانوا يرفعون...

قال أبو سامي:

—هل هذه "الحرية"؟ أن تهتف بما يريدون؟ أن ترفع ما يريدون؟ أن تقول ما يريدون؟

قال أبو خالد:

—لا. هذه ليست "الحرية". هذه "العبودية". "العبودية" الجديدة. "العبودية" التي تلبس ثوب "الحرية."

قال:

—لكنهم يقولون إنهم "حرروا" اليمن. إنهم "حرروا" صنعاء. إنهم "حرروا..."

قال:

" —حرروا"؟ من ماذا؟ من "الجمهورية"؟ من "الديمقراطية"؟ من "الحرية"؟ لقد "حررونا" من كل شيء. من "الكرامة". من "الحق". من "الحياة."

صمت.

في الشارع، كانت هناك "مسيرة". كان الناس يهتفون. لكن أبا سامي كان يعرف. كان يعرف أن معظمهم لم يأتوا بإرادتهم. كانوا قد أُجبروا. كانوا قد خافوا. كانوا قد...

قال أبو سامي:

—أين "الحرية" في أن تُجبر على الهتاف؟ أين "الحرية" في أن تُجبر على التصفيق؟ أين "الحرية" في أن تُجبر على...

قال أبو خالد:

—لا توجد. "الحرية" لا توجد. "الحرية" ماتت. "الحرية" دفنت. "الحرية..."

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "مسيرات". على "هتافات". على "أعلام". على شعب صامت.

المشهد السابع والأربعون: أين الاستقلال؟

في بيت صغير في حي "شعوب"، كان "الأستاذ حمود" يجلس مع ابنه. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا متقاعدًا. كان يحب الكلام. كان يحب النقاش. كان يحب أن يقول ما في قلبه. لكنه كان يعرف أن الكلام أصبح خطرًا.

قال ابنه:

—أبي. سمعت أن "الثورة" حققت "الاستقلال."

قال الأستاذ حمود:

" —الاستقلال"؟ أي "استقلال"؟

قال:

" —الاستقلال" عن "أمريكا". "الاستقلال" عن "إسرائيل". "الاستقلال" عن...

قال:

" —الاستقلال"؟ نحن لم نستقل. نحن "استعمرنا". "استعمرنا" من "إيران". من "حزب الله". من "السلالة". من...

قال:

—لكنهم يقولون إنهم "حرروا" اليمن. إنهم "طردوا" "الأمريكان". إنهم "طردوا..."

قال:

" —طردوا"؟ من "طردوا"؟ "الأمريكان" لم يكونوا هنا. "الإسرائيليون" لم يكونوا هنا. "الذين كانوا هنا" هم "اليمنيون". ونحن "طردناهم". "طردنا" أنفسنا. "طردنا" "الجمهورية". "طردنا" "الحرية". "طردنا..."

صمت.

قال ابنه:

—لكنهم يقولون إن "الاستقلال" هو أن لا تكون "تابعًا" لأحد.

قال:

" —التابع"؟ نحن الآن "تابعون" لـ"إيران". "تابعون" لـ"حزب الله". "تابعون" لـ"السلالة". "تابعون" لـ...

قال:

—لكنهم يقولون إن "إيران" "دولة شقيقة". إن "حزب الله" "حليف". إن...

قال:

" —دولة شقيقة"؟ "حليف"؟ "الشقيق" يسرقك؟ "الحليف" يقتلك؟ "الشقيق" يجوعك؟ "الحليف..."

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "استقلال". على "تبعية". على "كذب". على شعب صامت.

قال الأستاذ حمود لنفسه:

" —الاستقلال" ليس أن تهتف. "الاستقلال" ليس أن ترفع الأعلام. "الاستقلال" هو أن تكون حرًا. أن تقول ما تريد. أن تفعل ما تريد. أن تعيش كما تريد. لكننا... نحن لسنا أحرارًا. نحن "عبيد". "عبيد" لـ"السلالة". "عبيد" لـ"المسيرة". "عبيد" ل...

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "الاستقلال" كذبة. كانوا يعرفون أن "الحرية" كذبة. كانوا يعرفون أن كل شيء كذبة. لكنهم كانوا صامتين. لأنهم خائفون. لأنهم جائعون. لأنهم...

المشهد الثامن والأربعون: اتصال ترامب

في مقهى صغير في شارع "الزبيري"، كان "أبو سامي" يجلس مع أصدقائه. كان في الخمسينيات. كان موظفًا. كان يحب الحياة الهادئة. كان يحب أن يجلس مع أصدقائه. كان يحب أن يتحدث. لكنه كان يعرف أن الحديث أصبح خطراً. في ذلك اليوم، كان هناك خبر. كان هناك "اتصال". كان هناك "ترامب". كان هناك "صفقة". كان هناك...

قال أحد الأصدقاء:

—سمعتم؟ "ترامب" اتصل.

قال آخر:

—اتصل بمن؟

قال الأول:

—بـ"السيد". بـ"عبدالملك". بـ...

قال الثاني:

—وماذا قال؟

قال الأول:

—قال إن "الملاحة" يجب أن تكون "آمنة". إن "البحر الأحمر" يجب أن يكون "مفتوحًا". إن...

قال الثالث:

" —الملاحة"؟ "البحر الأحمر"؟ ماذا عن "اليمن"؟ ماذا عن "الشعب"؟ ماذا عن "الجوع"؟ ماذا عن...

قال الأول:

—لا يهم. "الملاحة" أهم. "البحر الأحمر" أهم. "التجارة" أهم. "اليمن" ليس مهمًا. "الشعب" ليس مهمًا. "الجوع" ليس مهمًا.

صمت.

قال أبو سامي:

" —اللعنة على أمريكا". "اللعنة على إسرائيل". "اللعنة على..." هذا ما يقولونه. لكنهم... لكنهم يتفاوضون. يتفاوضون مع "أمريكا". يتفاوضون مع "إسرائيل". يتفاوضون مع...

قال أحد الأصدقاء:

—هذا "نفاق". هذا "كذب". هذا...

قال:

—نعم. هذا "نفاق". هذا "كذب". هذا "تمثيل". "المسيرة" "تمثيل". "السلالة" "تمثيل". "الثورة" "تمثيل". كل شيء "تمثيل".

صمت.

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "الاتصال" حدث. كانوا يعرفون أن "الصفقة" تمت. كانوا يعرفون أن "اللعنة على أمريكا" كانت كذبة. لكنهم كانوا صامتين. لأنهم خائفون. لأنهم جائعون. لأنهم...

قال أبو سامي لنفسه:

" —اللعنة على أمريكا". "اللعنة على إسرائيل". "اللعنة على..." هذا ما يهتفون به. لكنهم... لكنهم يتفاوضون. يتفاوضون مع "أمريكا". يتفاوضون مع "إسرائيل". يتفاوضون مع...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "اتصال". على "صفقة". على "نفاق". على شعب صامت.

المشهد التاسع والأربعون: اللعنة على أمريكا بالدولار

في مكتب صغير في إحدى مؤسسات "المسيرة" في صنعاء، كان "أبو راكان" يجلس. كان في الثلاثينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان على مكتبه هاتف. كان على الجدار صورة "السيد". كان على الأرض سجاد. كان في الزاوية مكيف.

في ذلك اليوم، كان يراجع "الميزانية". كان يقرأ الأرقام. كان يكتب. كان يعد. كان يعد "الملايين". كان يعد "الدولارات". كان يعد...

في الميزانية، كان هناك بند. كان مكتوبًا: "دعم من الخارج". كان مكتوبًا: "دعم من إيران". كان مكتوبًا: "دعم من حزب الله". كان مكتوبًا: "دعم من..." وكانت الأرقام بالملايين. بالمليارات. بالدولارات.

نظر أبو راكان إلى الأرقام. ابتسم. كانت ابتسامة باردة. كانت ابتسامة من يعرف أن كل شيء في يده. كانت ابتسامة من يعرف أن "اللعنة على أمريكا"

كانت كذبة. كانت ابتسامة من يعرف أن "الدولارات" تأتي من "أمريكا". من "الخليج". من "الخارج". من...

قال لنفسه:

" —اللعنة على أمريكا" بالدولار. "اللعنة على إسرائيل" بالدولار. "اللعنة على..." بالدولار. هذا هو "الشعار". هذا هو "الكذب". هذا هو "النفاق". لكن... لكن الشعب لا يعرف. الشعب يهتف. الشعب يصدق. الشعب...

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "الشعارات" كذبة. كانوا يعرفون أن "الدولارات" تأتي من "الخارج". كانوا يعرفون أن "اللعنة على أمريكا" كانت "نفاقًا". لكنهم كانوا صامتين. لأنهم خائفون. لأنهم جائعون. لأنهم...

قال أحدهم:

—سمعت أن "المسيرة" تتلقى "دعمًا" من "إيران."

قال آخر:

—نعم. "دعمًا" بالملايين. "دعمًا" بالدولارات.

قال الأول:

—وماذا عن "اللعنة على أمريكا"؟

قال الثاني:

" —اللعنة على أمريكا" بالدولار. "اللعنة على إسرائيل" بالدولار. "اللعنة على..." بالدولار.

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "شعارات". على "كذب". على "نفاق". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الباب السادس: ٢٦ سبتمبر
الفصل الرابع عشر: الثورة الحقيقية

المشهد الخمسون: الحرية التي عرفناها

في شقة صغيرة في حي "شعوب" في صنعاء، كان "أبو سامي" يجلس أمام التلفاز. كان في الخمسينيات. كان قد عاش عمره كله في هذه المدينة. كان قد رأى الإمامة. كان قد رأى الجمهورية. كان قد رأى الحرب. كان قد رأى الكهنوت. لكنه في ذلك اليوم، كان يتذكر. كان يتذكر شيئًا آخر. كان يتذكر "الحرية."

على الشاشة، كان هناك شريط وثائقي قديم. كان يعرض "٢٦ سبتمبر ١٩٦٢". كان يعرض الثوار. كان يعرض الجماهير. كان يعرض "الجمهورية". كان يعرض "الحرية."

نظر أبو سامي إلى الشاشة. كانت عيناه تلمعان. لم يكن يلمعان من الضوء. كانا يلمعان من الدموع. دموع لم ينزلها منذ سنوات. دموع ذكرى. دموع ألم. دموع شوق.

قالت زوجته:

—ماذا تشاهد؟

قال:

—أتذكر.

قالت:

—ماذا تتذكر؟

قال:

" —الحرية". "الحرية" التي عرفناها. "الحرية" التي كنا نعيشها. "الحرية" التي...

صمت.

على الشاشة، كان هناك رجل. كان يرتدي زيًا عسكريًا. كان يقف أمام الكاميرا. كان يقول:

" —يا جماهير الشعب اليمني. يا أحفاد الجمهورية. اليوم، نعلن "الثورة". "ثورة ٢٦ سبتمبر". "ثورة" ضد "الإمامة". "ثورة" ضد "العبودية". "ثورة" ضد "الظلام". "ثورة" من أجل "الحرية". من أجل "الجمهورية". من أجل "الكرامة."

نظر أبو سامي إلى الشاشة. كان يعرف هذا الرجل. كان يعرف هذه الثورة. كان يعرف هذه الحرية. كان قد عاشها. كان قد تنفسها. كان قد أحبها.

قال لزوجته:

—كنت طفلًا. في الثامنة. عندما قامت "الثورة". كنت في الشارع. كنت أرى الناس. كانوا يهتفون. كانوا يرقصون. كانوا يبكون. كانوا يقولون: "انتهت الإمامة". "انتهت العبودية". "بدأت الجمهورية". "بدأت الحرية."

قالت:

—وكيف كانت "الحرية"؟

قال:

— كانت... كانت...

صمت. كان يبحث عن الكلمات. كان يبحث عن وصف. كان يبحث عن شيء لم يعد موجودًا.

قال:

— كانت "الحرية" أن تدرس. أن تتعلم. أن تقرأ. أن تكتب. كانت "الحرية" أن تقول ما تريد. أن تفعل ما تريد. أن تعيش كما تريد. كانت "الحرية" أن تكون "مواطنًا". لا "عبدًا". لا "تابعًا". لا...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تغرب. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "حرية". على "ذكرى". على "ألم". على شعب صامت.

قال أبو سامي لنفسه:

" —الحرية" التي عرفناها. "الحرية" التي عشناها. "الحرية" التي فقدناها. لكن... لكن "الحرية" لا تموت. "الحرية" تنتظر. "الحرية" ستعود.

المشهد الحادي والخمسون: الجمهورية التي نؤمن بها

في بيت صغير في حي "الروضة"، كان "الأستاذ حمود" يجلس مع ابنه. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا متقاعدًا. كان يحب الكلام. كان يحب النقاش. كان يحب أن يقول ما في قلبه. لكنه كان يعرف أن الكلام أصبح خطرًا.

في ذلك اليوم، كان يتحدث. كان يقول:

" —الجمهورية". "الجمهورية" التي نؤمن بها. "الجمهورية" التي ناضلنا من أجلها. "الجمهورية" التي...

قال ابنه:

—أبي. ما هي "الجمهورية"؟

قال الأستاذ حمود:

" —الجمهورية" هي "نظام". "نظام" يحكم فيه "الشعب". لا "السلالة". لا "الكهنوت". لا "الإمام". "الشعب" هو الذي يختار. "الشعب" هو الذي يحاسب. "الشعب" هو الذي...

قال:

—لكن "الجمهورية" لم تحقق شيئًا. "الجمهورية" لم تطعمنا. "الجمهورية" لم تعالجنا. "الجمهورية" لم...

قال:

" —الجمهورية" ليست "سحرًا". "الجمهورية" "نظام". "النظام" يحتاج إلى "وقت". "الوقت" يحتاج إلى "صبر". "الصبر" يحتاج إلى...

قال:

—لكننا صبرنا. صبرنا كثيرًا. صبرنا سنوات. صبرنا...

قال:

—لا. لم نصبر. لم نعطِ "الجمهورية" فرصة. "الإمامة" أخذت ألف سنة. "الجمهورية" أخذت ستين سنة. ستين سنة فقط. وفي ستين سنة، "الجمهورية" فعلت ما لم تفعله "الإمامة" في ألف سنة.

قال:

—ماذا فعلت؟

قال:

" —التعليم". "الصحة". "الطرق". "الكهرباء". "الماء". "المدارس". "الجامعات". "المستشفيات". "الحرية". "الكرامة". "المواطنة". كل شيء. "الجمهورية" أعطتنا كل شيء. ثم... ثم جاء "الكهنوت". وأخذ كل شيء.

صمت.

قال ابنه:

—إذن، ما الحل؟

قال الأستاذ حمود:

" —الحل" هو "الجمهورية". "الجمهورية" الحقيقية. "الجمهورية" التي لا "سلالة" فيها. "الجمهورية" التي لا "كهنوت" فيها. "الجمهورية" التي "الشعب" فيها "سيد". "الشعب" فيها "حر". "الشعب" فيها...

صمت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "جمهورية". على "أمل". على "نضال". على شعب صامت.

قال الأستاذ حمود لنفسه:

" —الجمهورية" التي نؤمن بها. "الجمهورية" التي ناضلنا من أجلها. "الجمهورية" التي ضحينا من أجلها. لكن... لكن "الجمهورية" لا تموت. "الجمهورية" تنتظر. "الجمهورية" ستعود.

المشهد الثاني والخمسون: الكرامة التي فقدناها

في مقهى صغير في شارع "حدة"، كان "أبو خالد" يجلس مع أصدقائه. كان في الخمسينيات. كان تاجرًا. كان يحب التجارة. كان يحب الحياة. لكنه كان يعرف أن الحياة تغيرت. كان يعرف أن هناك "جبايات". كان يعرف أن هناك "ضرائب". كان يعرف أن هناك "سرقة". كان يعرف أن هناك "ذل."

في ذلك اليوم، كان يتحدث. كان يقول:

" —الكرامة". "الكرامة" التي فقدناها. "الكرامة" التي أخذوها منا. "الكرامة" التي...

قال أحد الأصدقاء:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أقصد أننا لم نعد "رجالًا". لم نعد "أحرارًا". لم نعد "مواطنين". أصبحنا "عبيدًا". "عبيدًا" لـ"السلالة". "عبيدًا" لـ"المسيرة". "عبيدًا" لـ...

قال:

—لكننا لم نستسلم. ما زلنا هنا. ما زلنا...

قال:

" —هنا"؟ "هنا" ليس "كرامة". "هنا" "صمت". "هنا" "خوف". "هنا" "ذل". "الكرامة" هي أن تقول "لا". "الكرامة" هي أن ترفض. "الكرامة" هي أن...

قال:

—لكننا نقول "لا". نقول "لا" في قلوبنا. نقول "لا" في بيوتنا. نقول "لا" في...

قال:

" —القلوب" لا تكفي. "البيوت" لا تكفي. "لا" يجب أن تكون "عالية". "لا" يجب أن تكون "في الشارع". "لا" يجب أن تكون "في وجه الطاغية". "لا" يجب أن تكون...

صمت.

قال أحد الأصدقاء:

—لكننا نخاف. نخاف أن نُعتقل. نخاف أن نُعذب. نخاف أن نُقتل. نخاف على أولادنا. نخاف على عائلتنا. نخاف...

قال:

" —الخوف" هو "الذل". "الخوف" هو "العبودية". "الخوف" هو "الموت". "الموت" الحقيقي ليس أن تموت. "الموت" الحقيقي هو أن تعيش "ذليلًا". أن تعيش "خائفًا". أن تعيش...

صمت.

في الخارج، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا خائفين. كانوا يعرفون أن "الكرامة" فقدت. كانوا يعرفون أن "الذل" انتشر. كانوا يعرفون أن "الخوف" حكم. لكنهم كانوا صامتين. لأنهم خائفون. لأنهم جائعون. لأنهم...

قال أبو خالد لنفسه:

" —الكرامة" التي فقدناها. "الكرامة" التي أخذوها منا. لكن... لكن "الكرامة" لا تموت. "الكرامة" تنتظر. "الكرامة" ستعود.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "حرية". على "جمهورية". على "كرامة". على شعب صامت.

لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الفصل الخامس عشر: العلم

المشهد الثالث والخمسون: ارفعوا الأعلام

في شقة صغيرة في حي "شعوب" في صنعاء، كانت "نادية " تجلس أمام حاسوبها. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت طالبة. كانت تحب اليمن. كانت تحب الجمهورية. كانت تحب الحرية. لكنها كانت تعرف أن "العلم" أصبح خطرًا. كانت تعرف أن "العلم" أصبح جريمة. كانت تعرف أن "العلم" أصبح...

في ذلك اليوم، كانت تكتب. كانت تكتب منشورًا. كانت تكتب: "يا أهل اليمن. يا أحفاد الجمهورية. غدًا ٢٦ سبتمبر. غدًا ذكرى الثورة. غدًا ذكرى الحرية. غدًا ذكرى الجمهورية. ارفعوا الأعلام. ارفعوا الأعلام فوق بيوتكم. فوق سطوحكم. فوق قلوبكم. لا تخافوا. لا تصمتوا. ارفعوا الأعلام. غصبا عن أنوفهم. غصبا عن الكهنوت. غصبا عن السلالة. ارفعوا الأعلام. عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

قرأت المنشور. كان قويًا. كان حقيقيًا. كان جريئًا. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن هذا المنشور قد يعني "الموت". قد يعني "الاعتقال". قد يعني "الاختفاء". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

نشرت المنشور.

في الصباح، كان المنشور في كل مكان. كان في "فيسبوك". كان في "تويتر". كان في "واتساب". كان في كل هاتف. كان في كل بيت. كان في كل قلب. قرأته "أم محمد". كانت في الأربعينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان يبكي. كان جائعًا. قرأت المنشور. نظرت إلى الجدار. كان هناك علم. كان علمًا قديمًا. كان علم "الجمهورية". كان علم "٢٦ سبتمبر". كان علم "الحرية."

قالت لنفسها:

" —ارفعوا الأعلام". "ارفعوا الأعلام". لكن... لكنني أخاف. أخاف أن يأتوا. أخاف أن يأخذوا. أخاف أن...

صمتت. ثم قامت. ثم أخذت العلم. ثم فتحت النافذة. ثم رفعت العلم. ثم علقته. ثم أغلقت النافذة. ثم جلست. ثم بكت.

في الخارج، كان العلم يرفرف. كان يرفرف في الريح. كان يرفرف فوق البيت. كان يرفرف فوق الحي. كان يرفرف فوق صنعاء.

المشهد الرابع والخمسون: غصبا عن أنوفهم

في حي "الروضة"، كان "أبو خالد" يجلس في غرفته. كان في الخمسينيات. كان تاجرًا. كان يحب التجارة. كان يحب الحياة. لكنه كان يعرف أن الحياة تغيرت.

كان يعرف أن هناك "جبايات". كان يعرف أن هناك "ضرائب". كان يعرف أن هناك "سرقة". كان يعرف أن هناك "ذل."

قرأ المنشور. كان منشور "نادية ". كان منشور "العلم". كان منشور "٢٦ سبتمبر". نظر إلى الجدار. كان هناك علم. كان علمًا قديمًا. كان علم "الجمهورية". كان قد أخفاه منذ سنوات. كان قد خاف أن يرفعه. كان قد خاف أن يُعتقل. كان قد خاف أن...

قال لنفسه:

" —ارفعوا الأعلام". "ارفعوا الأعلام". لكن... لكنني أخاف. أخاف أن يأتوا. أخاف أن يأخذوا. أخاف أن...

صمت. ثم قام. ثم أخذ العلم. ثم فتح النافذة. ثم رفعه. ثم علقه. ثم أغلقه. ثم جلس. ثم بكت.

في الخارج، كان العلم يرفرف. كان يرفرف في الريح. كان يرفرف فوق البيت. كان يرفرف فوق الحي. كان يرفرف فوق صنعاء.

في حي آخر، في "الجراف"، كانت "أم سامي" تجلس في غرفتها. كانت في الخمسينيات. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل طفلًا. كان الطفل في الثالثة. كان يبكي. كان جائعًا. قرأت المنشور. نظرت إلى الجدار. كان هناك علم. كان علمًا قديمًا. كان علم "الجمهورية". كان قد أخفته منذ سنوات. كان قد خافت أن ترفعه. كان قد خافت أن تُعتقل. كان قد خافت أن...

قالت لنفسها:

" —ارفعوا الأعلام". "ارفعوا الأعلام". لكن... لكنني أخاف. أخاف أن يأتوا. أخاف أن يأخذوا. أخاف أن...

صمتت. ثم قامت. ثم أخذت العلم. ثم فتحت النافذة. ثم رفعته. ثم علقته. ثم أغلقت النافذة. ثم جلست. ثم بكت.

في الخارج، كان العلم يرفرف. كان يرفرف في الريح. كان يرفرف فوق البيت. كان يرفرف فوق الحي. كان يرفرف فوق صنعاء.

في حي آخر، في "حدة"، كان "الأستاذ حمود" يجلس في غرفته. كان في الخمسينيات. كان مدرسًا متقاعدًا. كان يحب الكلام. كان يحب النقاش. كان يحب أن يقول ما في قلبه. قرأ المنشور. نظر إلى الجدار. كان هناك علم. كان علمًا قديمًا. كان علم "الجمهورية". كان قد أخفاه منذ سنوات. كان قد خاف أن يرفعه. كان قد خاف أن يُعتقل. كان قد خاف أن...

قال لنفسه:

" —ارفعوا الأعلام". "ارفعوا الأعلام". لكن... لكنني أخاف. أخاف أن يأتوا. أخاف أن يأخذوا. أخاف أن...

صمت. ثم قام. ثم أخذ العلم. ثم فتح النافذة. ثم رفعه. ثم علقه. ثم أغلقه. ثم جلس. ثم بكى.

في الخارج، كان العلم يرفرف. كان يرفرف في الريح. كان يرفرف فوق البيت. كان يرفرف فوق الحي. كان يرفرف فوق صنعاء.

في كل حي، في كل شارع، في كل زقاق، كان العلم يرفرف. كان يرفرف غصبا عن "المشرفين". غصبا عن "السلالة". غصبا عن "الكهنوت". غصبا عن "أنوفهم."

المشهد الخامس والخمسون: عاشت الجمهورية

في صباح ٢٦ سبتمبر، كانت صنعاء مختلفة. كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على "الأعلام". كانت تشرق على "الجمهورية". كانت تشرق على "الحرية". كانت تشرق على "اليمن."

في الشوارع، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا يبتسمون. كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يقولون: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في حي "شعوب"، كانت "نادية " تمشي. كانت تحمل علمًا. كانت ترفعه. كانت تقول: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في حي "الروضة"، كان "أبو خالد" يمشي. كان يحمل علمًا. كان يرفعه. كان يقول: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في حي "الجراف"، كانت "أم سامي" تمشي. كانت تحمل علمًا. كانت ترفعه. كانت تقول: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في حي "حدة"، كان "الأستاذ حمود" يمشي. كان يحمل علمًا. كان يرفعه. كان يقول: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في كل حي، في كل شارع، في كل زقاق، كان الناس. كانوا يمشون. كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يقولون: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في ميدان "السبعين"، كان هناك تجمع. كان هناك آلاف. كانوا يقفون. كانوا يرفعون الأعلام. كانوا يقولون: "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في المنصة، كانت "نادية ". كانت تقف. كانت تحمل ميكروفونًا. كانت تقول:

" —يا أهل اليمن. يا أحفاد الجمهورية. اليوم، ٢٦ سبتمبر. اليوم، ذكرى الثورة. اليوم، ذكرى الحرية. اليوم، ذكرى الجمهورية. اليوم، نرفع الأعلام. اليوم، نقول: عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

صمتت. نظرت إلى الميدان. كان مليئًا. كان مليئًا بالأعلام. كان مليئًا بالهتافات. كان مليئًا بالحرية.

قالت:

" —غصبا عن أنوفهم. غصبا عن الكهنوت. غصبا عن السلالة. عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الميدان، انفجرت الهتافات. "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية". "عاشت الجمهورية."

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "جمهورية". على "حرية". على "كرامة". على شعب ليس صامتاً.

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

لباب السابع: الخروج
الفصل السادس عشر: لماذا تركت صنعاء؟

المشهد السادس والخمسون: الخوف على السمعة

في شقة صغيرة في حي "شعوب" في صنعاء، كانت "نادية " تجلس أمام المرآة. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت طالبة. كانت تحب اليمن. كانت تحب الجمهورية. كانت تحب الحرية. لكنها كانت تعرف أن "السمعة" أصبحت سلاحًا. كانت تعرف أن "السمعة" أصبحت خطرًا. كانت تعرف أن "السمعة" أصبحت...

في ذلك اليوم، كانت تنظر إلى نفسها في المرآة. كانت ترى وجهًا متعبًا. كانت ترى عيونًا خائفة. كانت ترى روحًا مكسورة. لكنها كانت ترى أيضًا إصرارًا. كانت ترى "نادية " التي لا تستسلم. كانت ترى "نادية " التي لا تصمت.

لكن في ذلك اليوم، كان هناك شيء مختلف. كان هناك خوف. خوف ليس على حياتها. خوف على "سمعتها."

تذكرت ما قالته لها صديقتها قبل أسبوع. قالت:

—يا نادية . أنتِ تتكلمين كثيرًا. أنتِ تكتبين كثيرًا. أنتِ تعترضين كثيرًا. هذا خطير.

قالت نادية :

—أعرف. لكنني لا أستطيع أن أصمت.

قالت صديقتها:

—لكنهم سيهاجمونك. سيهاجمون "سمعتك". سيقولون إنكِ "عميلة". إنكِ "مرتزقة". إنكِ "خائنة". إنكِ...

قالت نادية :

—لا يهمني ما يقولون. أنا أعرف من أنا. أنا أعرف أنني على حق.

قالت صديقتها:

—لكن "السمعة" هي كل شيء. "السمعة" هي حياتك. "السمعة" هي شرفك. "السمعة" هي...

صمتت نادية .

في تلك الليلة، لم تنم. كانت تفكر. كانت تفكر في "السمعة". كانت تفكر في ما قالته صديقتها. كانت تفكر في ما قد يحدث. كانت تفكر في "الزينبيات". كانت تفكر في "الاعتقال". كانت تفكر في "التعذيب". كانت تفكر في "الابتزاز". كانت تفكر في "السمعة."

قالت لنفسها:

—أنا لا أخاف على حياتي. أنا أخاف على "سمعتي". أنا أخاف أن يقولوا عني ما ليس فيّ. أنا أخاف أن يشوهوا صورتي. أنا أخاف أن يدنسوا شرفي. أنا أخاف أن...

صمتت. ثم نظرت إلى المرآة. ثم قالت:

—لكن... لكن "السمعة" ليست كل شيء. "السمعة" هي ما يقوله الناس. "الحقيقة" هي ما أعرفه أنا. "الحقيقة" هي أنني بريئة. "الحقيقة" هي أنني على حق. "الحقيقة" هي أنني...

في الصباح، قررت. قررت أن ترحل. ليس لأنها خائفة. بل لأنها تريد أن تحمي "سمعتها". تريد أن تحمي "شرفها". تريد أن تحمي "كرامتها."

قالت لأمها:

—أمي. سأرحل.

قالت أمها:

—إلى أين؟

قالت:

—إلى الخارج. إلى مكان آمن. إلى مكان أستطيع أن أتكلم فيه. أن أكتب فيه. أن أعيش فيه.

قالت أمها:

—لكنكِ هنا. في بيتك. في بلدك. في...

قالت نادية :

—أنا هنا. لكنني لست حرة. أنا هنا. لكنني خائفة. أنا هنا. لكنني...

صمتت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "خوف". على "سمعة". على "رحيل". على شعب صامت.

المشهد السابع والخمسون: الضغط النفسي

في الأسبوع التالي، كانت نادية تعيش في "ضغط نفسي". كانت تستيقظ كل صباح. كانت تذهب إلى الجامعة. كانت تحضر المحاضرات. كانت تبتسم. كانت تتحدث. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن هناك "عيونًا". كانت تعرف أن هناك "جواسيس". كانت تعرف أن هناك "طلابًا مكلفين". كانت تعرف أن هناك "مشرفين."

في إحدى المحاضرات، جاء "أبو سامي". كان مشرف الجامعة. قال:

—يا نادية . تعالي معي.

قالت:

—لماذا؟

قال:

—لا تسألي. تعالي.

أخذها إلى غرفة صغيرة. كان هناك رجل. كان في الأربعينيات. كان يرتدي ثوبًا شعبيًا. كان يحمل جعبة عسكرية. كان اسمه "أبو جعفر". كان مشرف التحقيق.

قال:

—أنتِ نادية ؟

قالت:

—نعم.

قال:

—أنتِ تتكلمين كثيرًا.

قالت:

—أنا فقط...

قال:

—أنتِ تكتبين كثيرًا.

قالت:

—أنا فقط...

قال:

—أنتِ تعترضين كثيرًا.

قالت:

—أنا فقط...

قال:

—إذا استمررتِ. سنفعل بكِ ما نريد. سنعتقلكِ. سنعذبكِ. سنهتك عرضكِ. سنفعل...

صمتت نادية .

في الأسبوع التالي، بدأ "الضغط النفسي". بدأت "الرسائل". بدأت "التهديدات". بدأت "الاتصالات". كانوا يقولون:

—اسكتي. وإلا...

قالت:

—لن أسكت.

قالوا:

—سننشر صورك. سنفضحك. سندمر سمعتك.

قالت:

—لا يهمني.

قالوا:

—سنأخذ أهلك. سنعتقل والدك. سنفعل...

صمتت.

في الليل، لم تنم. كانت تفكر. كانت تفكر في "الضغط". كانت تفكر في "التهديدات". كانت تفكر في "أهلها". كانت تفكر في "والدها". كانت تفكر في "الموت."

قالت لنفسها:

—أنا لا أخاف على نفسي. أنا أخاف على أهلي. أنا أخاف أن يأخذوا والدي. أنا أخاف أن يعتقلوا أخي. أنا أخاف أن يدمروا عائلتي. أنا أخاف أن...

صمتت.

في الصباح، قررت. قررت أن ترحل. ليس لأنها خائفة. بل لأنها تريد أن تحمي "أهلها". تريد أن تحمي "عائلتها". تريد أن تحمي من تحب.

قالت لأمها:

—أمي. سأرحل.

قالت أمها:

—إلى أين؟

قالت:

—إلى الخارج. إلى مكان آمن. إلى مكان لا يستطيعون أن يصلوا إليه. إلى مكان لا يستطيعون أن يؤذوكم فيه.

قالت أمها:

—لكنكِ هنا. في بيتك. في بلدك. في...

قالت نادية :

—أنا هنا. لكنني لست آمنة. أنا هنا. لكنكم لستم آمنين. أنا هنا. لكن...

صمتت.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "ضغط". على "تهديد". على "رحيل". على شعب صامت.

في ليلة الرحيل، كانت نادية تجلس في غرفتها. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت طالبة. كانت تحب اليمن. كانت تحب الجمهورية. كانت تحب الحرية. لكنها كانت تعرف أن "الوحدة" أصبحت قدرها. كانت تعرف أن "الوحدة" أصبحت ألمها. كانت تعرف أن "الوحدة" أصبحت...

في ذلك اليوم، كانت تحزم حقيبتها. كانت تضع فيها ملابسها. كانت تضع فيها كتبها. كانت تضع فيها صورها. كانت تضع فيها ذكرياتها. كانت تضع فيها كل شيء. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن هناك شيئًا لن تستطيع أن تأخذه. كان هناك "اليمن". كان هناك "الوطن". كان هناك "الجمهورية". كان هناك "الحرية."

نظرت إلى الغرفة. كانت فارغة. كانت فارغة من الأثاث. كانت فارغة من الحياة. كانت فارغة من الأمل. لكنها كانت تعرف. كانت تعرف أن "الوحدة" ليست في الغرفة. "الوحدة" في القلب. "الوحدة" في الروح. "الوحدة" في...

قالت لنفسها:

—أنا وحيدة. وحيدة في هذا العالم. وحيدة في هذا البلد. وحيدة في هذه الحياة. لكن... لكنني لست وحيدة. هناك "اليمن". هناك "الجمهورية". هناك "الحرية". هناك "٢٦ سبتمبر". هناك كل من يحب هذا البلد. كل من يريد الحرية. كل من يريد الجمهورية. كل من...

صمتت.

في الصباح، ودعت أمها. ودعت أباها. ودعت أخوتها. ودعت كل من تحب.
قالت لأمها:
—أمي. سأعود.
قالت أمها:
—متى؟
قالت:
—عندما تعود الجمهورية. عندما تعود الحرية. عندما يعود اليمن.
قالت أمها:
—وماذا عنكِ؟ ماذا عن حياتكِ؟ ماذا عن...
قالت نادية :
—حياتي هي اليمن. حياتي هي الجمهورية. حياتي هي الحرية. إذا عادت اليمن، عادت حياتي. إذا عادت الجمهورية، عادت حياتي. إذا عادت الحرية، عادت حياتي.
صمتت.
في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "وحدة". على "رحيل". على "أمل". على شعب صامت.
قالت نادية لنفسها:

—أنا أرحل. لكنني لن أنسى. لن أنسى "اليمن". لن أنسى "الجمهورية". لن أنسى "الحرية". لن أنسى "٢٦ سبتمبر". لن أنسى كل من ضحى. كل من مات. كل من عاش. كل من...

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على صنعاء. على اليمن. على التاريخ. كانت تشرق على "رحيل". على "أمل". على "عودة". على شعب صامت. لكن الشمس كانت تشرق. وكان هناك أمل. كان هناك يوم. كان هناك فجر. كان هناك ٢٦ سبتمبر. كان هناك جمهورية. كان هناك حرية.

—لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش.

الباب السابع: الخروج
الفصل السابع عشر: لماذا تكلمت الآن؟

المشهد التاسع والخمسون: السياسة لم تتركني

في شقة صغيرة في إحدى مدن المهجر، كانت "نادية " تجلس أمام حاسوبها. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت طالبة. كانت قد تركت صنعاء قبل أشهر. كانت قد تركت "الخوف". كانت قد تركت "الضغط". كانت قد تركت "الوحدة". لكنها لم تترك "اليمن". لم تترك "الجمهورية". لم تترك "الحرية". في ذلك اليوم، كانت تفكر. كانت تفكر في "السياسة". كانت تفكر في "الكلمة". كانت تفكر في "الصمت". كانت تفكر في "الكلام".

قالت لنفسها:

" —السياسة". "السياسة" التي هربت منها طوال عمري. "السياسة" التي لم تتركني. "السياسة" التي لاحقتني. "السياسة" التي...

تذكرت. تذكرت عندما كانت في الجامعة. كانت تدرس الإعلام. كانت تحب الإعلام. كانت تحب الكاميرا. كانت تحب الميكروفون. كانت تحب أن تتكلم. لكنها كانت تريد أن تتكلم في "الفن". في "الثقافة". في "المجتمع". ليس في "السياسة."

قالت لنفسها:

—كنت أقول: "أنا لا أتكلم في السياسة". كنت أقول: "أنا إعلامية. أنا مذيعة. أنا لا أنتمي لأي حزب". كنت أقول: "أنا فقط أقدم برامج. أنا فقط أنقل الأخبار. أنا فقط"...

صمتت. ثم قالت:

—لكن "السياسة" لم تتركني. "السياسة" دخلت إلى بيتي. "السياسة" دخلت إلى جامعتي. "السياسة" دخلت إلى عملي. "السياسة" دخلت إلى حياتي. "السياسة" أصبحت "الجوع". "السياسة" أصبحت "الخوف". "السياسة" أصبحت "الموت". "السياسة" أصبحت كل شيء.

في ذلك اليوم، قررت. قررت أن نتكلم. ليس في "السياسة". بل في "الوضع". في "الحياة". في "اليمن."

قالت لنفسها:

—أنا لم أتكلم في "السياسة". أنا تكلمت في "الوضع". في "الجوع". في "الانتهاكات". في "النهب". في "الجبايات". في "الظلم". في "الباطل". في "الحق". في "الحرية". في "الجمهورية."

صمتت. ثم قالت:

" —السياسة" لم تتركني. لذلك، سأتكلم. سأتكلم عن "الوضع". سأتكلم عن "اليمن". سأتكلم عن "الحقيقة."

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "حقيقة". على "شجاعة". على شعب صامت.

المشهد الستون: أنا لم أتكلم في السياسة

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس مع صديقها "سامي". كان في الثلاثينيات. كان صحفيًا. كان قد هاجر أيضًا. كان يحب اليمن. كان يحب الحقيقة. كان يحب الحرية.

قال سامي:

—يا نادية . لماذا تكلمتِ الآن؟

قالت:

—ماذا تقصد؟

قال:

—أقصد أنكِ كنتِ صامتة لسنوات. كنتِ في صنعاء. كنتِ ترين كل شيء. لكنكِ لم تتكلمي. لماذا الآن؟

صمتت نادية .

قالت:

—أنا لم أكن صامتة. أنا كنت أتكلم. لكن ليس في "السياسة."

قال:

—وماذا كنتِ تقولين؟

قالت:

—كنت أقول إن "الجوع" خطير. إن "الانتهاكات" خطيرة. إن "النهب" خطير. إن "الجبايات" خطيرة. إن "الظلم" خطير. إن "الباطل" خطير. كنت أقول "الحقيقة."

قال:

—لكن "الحقيقة" سياسة.

قالت:

—لا. "الحقيقة" ليست سياسة. "الحقيقة" هي "الحقيقة". "السياسة" هي أن تنتمي لحزب. "السياسة" هي أن تدافع عن فكرة. "السياسة" هي أن تكون مع "هذا" أو "ذاك". أنا لست مع "هذا" أو "ذاك". أنا مع "اليمن". أنا مع "الشعب". أنا مع "الحق."

قال:

—لكنهم يقولون إنكِ "سياسية."

قالت:

—لا يهمني ما يقولون. أنا أعرف من أنا. أنا أعرف أنني لست "سياسية". أنا "إعلامية". أنا "صحفية". أنا "ناقلة للحقيقة". "الحقيقة" ليست سياسة. "الحقيقة" هي "الحقيقة."

صمت سامي.

قال:

—وماذا عن "الاتهامات"؟ يقولون إنكِ "عميلة". إنكِ "مرتزقة". إنكِ...

قالت:

—أنا لست "عميلة". أنا لست "مرتزقة". أنا "يمنية". أنا "حرة". أنا "صحفية". أنا فقط أقول ما أراه. ما أسمعه. ما أعرفه. ما أعيشه.

قال:

—لكن...

قالت:

—لا "لكن". أنا لم أتكلم في "السياسة". أنا تكلمت في "الوضع". في "وضع" اليمن. في "وضع" الشعب. في "وضع" الإنسان.

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "حقيقة". على "كلمة". على "شجاعة". على شعب صامت.

المشهد الحادي والستون: أنا تكلمت في الوضع

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس أمام الكاميرا. كانت في استوديو صغير في إحدى مدن المهجر. كانت تستعد لتسجيل "حلقة". كانت "حلقة" عن "اليمن". عن "الوضع". عن "الحقيقة."

نظرت إلى الكاميرا. كانت تعرف. كانت تعرف أن هذه "الحلقة" قد تكون "الأخيرة". قد تكون "البداية". قد تكون "النهاية". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

قالت في الكاميرا:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس في 'السياسة'. بل في 'الوضع'."

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أتكلم في 'السياسة'. أنا تكلمت في 'الجوع'. في 'الجوع' الذي يقتل الناس. في 'الجوع' الذي يجعل الأمهات يبعن بناتهن. في 'الجوع' الذي يجعل الآباء يبيعون أرضهم. في 'الجوع' الذي"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أتكلم في 'السياسة'. أنا تكلمت في 'الانتهاكات'. في 'الانتهاكات' التي تحدث في السجون. في 'الانتهاكات' التي تحدث في البيوت. في 'الانتهاكات' التي تحدث في الجامعات. في 'الانتهاكات' التي"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أتكلم في 'السياسة'. أنا تكلمت في 'النهب'. في 'النهب' الذي يحدث في الجبايات. في 'النهب' الذي يحدث في الضرائب. في 'النهب' الذي يحدث في المسيرات. في 'النهب' الذي"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أتكلم في 'السياسة'. أنا تكلمت في 'الظلم'. في 'الظلم' الذي يحدث في الزينبيات. في 'الظلم' الذي يحدث في الاعتقالات. في 'الظلم' الذي يحدث في الابتزاز. في 'الظلم' الذي"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أتكلم في 'السياسة'. أنا تكلمت في 'الوضع'. في 'وضع' اليمن. في 'وضع' الشعب. في 'وضع' الإنسان. أنا تكلمت في 'الحقيقة'. 'الحقيقة' التي يريدون دفنها. 'الحقيقة' التي يريدون إخفاءها. 'الحقيقة' التي"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا تكلمت. وسأستمر في الكلام. ليس لأنني شجاعة. بل لأنني لا أستطيع أن أصمت. لأن الصمت موت. لأن الصمت خيانة. لأن الصمت"...

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "حقيقة". على "شجاعة". على شعب ليس صامتاً.

" —أنا لم أتكلم في السياسة. أنا تكلمت في الوضع. في الحقيقة. في اليمن".

المشهد الثاني والستون: الذين يطبلون

في استوديو صغير في إحدى مدن المهجر، كانت "نادية " تجلس أمام الكاميرا. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت قد تركت صنعاء قبل أشهر. كانت قد تركت "الخوف". كانت قد تركت "الضغط". لكنها لم تترك "اليمن". لم تترك "الحقيقة". لم تترك "الكلمة."

في ذلك اليوم، كانت تسجل "حلقة" جديدة. كانت "حلقة" عن "المشاهير". عن "الإعلاميين". عن "الذين يطبلون."

نظرت إلى الكاميرا. ثم قالت:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'المشاهير'. عن 'الذين يطبلون"!

صمتت. ثم قالت:

" —أنا أعرفهم. أعرفهم جيدًا. كانوا زملائي. كانوا أصدقائي. كانوا في نفس القناة. كانوا في نفس الاستوديو. كانوا يقدمون نفس البرامج. كانوا يبتسمون. كانوا يقولون: 'أهلاً بكم في قناة الهوية'. كانوا يقولون: 'قناة الحرية'. كانوا يقولون: 'قناة الحقيقة'. لكنهم... لكنهم كانوا يطبلون".

صمتت. ثم قالت:

" —كانوا يطبلون للحوثي. كانوا يطبلون للسلالة. كانوا يطبلون للمسيرة. كانوا يطبلون للكهنوت. كانوا يقولون إن 'الوضع' تمام. إن 'الرواتب' تصل. إن 'الجوع' غير موجود. إن 'الانتهاكات' كذب. إن 'الحقيقة' هي ما يقولونه هم. لكنهم... لكنهم كانوا يعرفون. كانوا يعرفون أن 'الوضع' ليس تمام. كانوا يعرفون أن 'الرواتب' لا تصل. كانوا يعرفون أن 'الجوع' موجود. كانوا يعرفون أن 'الانتهاكات' حقيقية. كانوا يعرفون أن 'الحقيقة' ليست ما يقولونه. لكنهم... لكنهم كانوا يطبلون".

صمتت. ثم قالت:

" —لماذا يطبلون؟ لأنهم يستفيدون. لأنهم يأخذون. لأنهم يعيشون. لأنهم... لأنهم باعوا ضميرهم. باعوا كرامتهم. باعوا وطنهم. باعوا اليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —يا مشاهير. يا من تطبلون. أين ضميركم؟ أين كرامتكم؟ أين وطنكم؟ أين اليمن؟ أين '٢٦ سبتمبر'؟ أين 'الجمهورية'؟ أين 'الحرية'؟"

صمتت. ثم قالت:

" —أنتم تطبلون. لكن الشعب لا يطبل. الشعب يعرف. الشعب يرى. الشعب يسمع. الشعب... الشعب صامت. لكنه ليس صامتًا للأبد. سيتكلم. سيقاوم. سيعيش".

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "حقيقة". على "شجاعة". على شعب ليس صامتاً.

المشهد الثالث والستون: الذين يسكتون

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس أمام الكاميرا مرة أخرى. كانت "حلقة" جديدة. كانت "حلقة" عن "الذين يسكتون."

نظرت إلى الكاميرا. ثم قالت:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'الذين يسكتون'."

صمتت. ثم قالت:

" —أنا أعرفهم. أعرفهم جيدًا. كانوا زملائي. كانوا أصدقائي. كانوا في نفس القناة. كانوا في نفس الاستوديو. كانوا يقدمون نفس البرامج. كانوا يبتسمون. كانوا يقولون: 'أهلاً بكم في قناة الهوية'. كانوا يقولون: 'قناة الحرية'. كانوا يقولون: 'قناة الحقيقة'. لكنهم... لكنهم كانوا يسكتون".

صمتت. ثم قالت:

" — كانوا يسكتون عن الحوثي. كانوا يسكتون عن السلالة. كانوا يسكتون عن المسيرة. كانوا يسكتون عن الكهنوت. كانوا لا يقولون إن 'الوضع' تمام. لكنهم لا يقولون إن 'الوضع' سيء. كانوا لا يقولون إن 'الرواتب' تصل. لكنهم لا

يقولون إن 'الرواتب' انقطعت. كانوا لا يقولون إن 'الجوع' غير موجود. لكنهم لا يقولون إن 'الجوع' موجود. كانوا... كانوا صامتين".

صمتت. ثم قالت:

" —لماذا يسكتون؟ لأنهم خائفون. لأنهم يريدون أن يعيشوا. لأنهم يريدون أن يحموا عائلاتهم. لأنهم... لأنهم لم يبيعوا ضميرهم. لكنهم لم يستخدموه. لم يستخدموه للكلام. لم يستخدموه للحقيقة. لم يستخدموه لليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —يا من تسكتون. أين ضميركم؟ أين كرامتكم؟ أين وطنكم؟ أين اليمن؟ أين '٢٦ سبتمبر'؟ أين 'الجمهورية'؟ أين 'الحرية'؟"

صمتت. ثم قالت:

" —أنتم تسكتون. لكن الشعب لا يسكت. الشعب يعرف. الشعب يرى. الشعب يسمع. الشعب... الشعب صامت. لكنه ليس صامتًا للأبد. سيتكلم. سيقاوم. سيعيش".

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "حقيقة". على "شجاعة". على شعب ليس صامتًا.

المشهد الرابع والستون: الذين يستفيدون

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس أمام الكاميرا مرة أخرى. كانت "حلقة" جديدة. كانت "حلقة" عن "الذين يستفيدون."

نظرت إلى الكاميرا. ثم قالت:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'الذين يستفيدون"!

صمتت. ثم قالت:

" —أنا أعرفهم. أعرفهم جيدًا. كانوا زملائي. كانوا أصدقائي. كانوا في نفس القناة. كانوا في نفس الاستوديو. كانوا يقدمون نفس البرامج. كانوا يبتسمون. كانوا يقولون: 'أهلاً بكم في قناة الهوية'. كانوا يقولون: 'قناة الحرية'. كانوا يقولون: 'قناة الحقيقة'. لكنهم... لكنهم كانوا يستفيدون".

صمتت. ثم قالت:

" —كانوا يستفيدون من الحوثي. كانوا يستفيدون من السلالة. كانوا يستفيدون من المسيرة. كانوا يستفيدون من الكهنوت. كانوا يأخذون 'رواتب'. كانوا يأخذون 'منحًا'. كانوا يأخذون 'هدايا'. كانوا يأخذون 'أموالًا'. كانوا... كانوا يعيشون".

صمتت. ثم قالت:

" —لماذا يستفيدون؟ لأنهم باعوا. باعوا ضميرهم. باعوا كرامتهم. باعوا وطنهم. باعوا اليمن. باعوا كل شيء. من أجل 'المال'. من أجل 'العيش'. من أجل 'الحياة'. لكن... لكن أي حياة هذه؟ حياة 'ذل'. حياة 'خيانة'. حياة 'عار"!

صمتت. ثم قالت:

" —يا من تستفيدون. أين ضميركم؟ أين كرامتكم؟ أين وطنكم؟ أين اليمن؟ أين '٢٦ سبتمبر'؟ أين 'الجمهورية'؟ أين 'الحرية'؟"

صمتت. ثم قالت:

" —أنتم تستفيدون. لكن الشعب لا يستفيد. الشعب يعرف. الشعب يرى. الشعب يسمع. الشعب... الشعب صامت. لكنه ليس صامتًا للأبد. سيتكلم. سيقاوم. سيعيش".

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "حقيقة". على "شجاعة". على شعب ليس صامتًا.

" —لن نصمت. لن نستسلم. لن نموت. سنتكلم. سنقاوم. سنعيش".

الباب الثامن: الحقيقة
الفصل التاسع عشر: كلمة أخيرة

المشهد الثامن والستون: الشعوب لا تتغير بالكلمات

في استوديو صغير في إحدى مدن المهجر، كانت "نادية " تجلس أمام الكاميرا. كانت في العشرينيات. كانت مذيعة. كانت قد تركت صنعاء قبل أشهر. كانت قد تركت "الخوف". كانت قد تركت "الضغط". لكنها لم تترك "اليمن". لم تترك "الحقيقة". لم تترك "الكلمة."

في ذلك اليوم، كانت تسجل "الحلقة الأخيرة". كانت "الحلقة" عن "الكلمة". عن "الموقف". عن "الحقيقة."

نظرت إلى الكاميرا. كانت تعرف. كانت تعرف أن هذه "الحلقة" قد تكون "الأخيرة". قد تكون "البداية". قد تكون "النهاية". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

قالت في الكاميرا:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'الكلمة'!

صمتت. ثم قالت:

" —أنا تكلمت كثيرًا. كتبت كثيرًا. قلت كثيرًا. لكنني أعرف. أعرف أن 'الكلمات' وحدها لا تكفي. 'الكلمات' لا تغير شيئًا. 'الكلمات' لا تحرر وطنًا. 'الكلمات' لا تسقط كهنوتًا. 'الكلمات' لا تعيد جمهورية".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا كنت أقول: 'الجوع خطير'. لكن 'الجوع' لم يتوقف. أنا كنت أقول: 'الانتهاكات خطيرة'. لكن 'الانتهاكات' لم تتوقف. أنا كنت أقول: 'النهب خطير'. لكن 'النهب' لم يتوقف. أنا كنت أقول: 'الظلم خطير'. لكن 'الظلم' لم يتوقف. لماذا؟ لأن 'الكلمات' وحدها لا تكفي".

صمتت. ثم قالت:

" —الشعوب لا تتغير بالكلمات. الشعوب تتغير بالمواقف. بالمواقف الحقيقية. بالتضحيات. بالدماء. بالأرواح. الشعوب تتغير عندما تقرر. عندما تقرر أن تتغير. عندما تقرر أن تقاوم. عندما تقرر أن تعيش".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا كنت أقول: 'ارفعوا الأعلام'. لكن 'الأعلام' وحدها لا تكفي. 'الأعلام' لا تسقط كهنوتًا. 'الأعلام' لا تحرر وطنًا. 'الأعلام' لا تعيد جمهورية. 'الأعلام' تحتاج إلى 'موقف'. إلى 'تضحية'. إلى 'دم'. إلى 'أرواح'".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا كنت أقول: 'عاشت الجمهورية'. لكن 'الجمهورية' لا تعيش بالكلمات. 'الجمهورية' تعيش بالمواقف. بالتضحيات. بالدماء. بالأرواح. 'الجمهورية' تعيش

عندما يقرر الشعب. عندما يقرر أن يعيش. عندما يقرر أن يموت. عندما يقرر أن"...

صمتت. ثم قالت:

" —الشعوب لا تتغير بالكلمات. الشعوب تتغير بالمواقف".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "موقف". على "حقيقة". على شعب صامت.

المشهد التاسع والستون: يحتاج لها موقف حقيقي

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس أمام الكاميرا مرة أخرى. كانت "حلقة" جديدة. كانت "حلقة" عن "الموقف."

نظرت إلى الكاميرا. ثم قالت:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'الموقف'!

صمتت. ثم قالت:

" —أنا تكلمت كثيرًا. كتبت كثيرًا. قلت كثيرًا. لكنني أعرف. أعرف أن 'الكلمات' وحدها لا تكفي. 'الكلمات' تحتاج إلى 'موقف'. 'موقف' حقيقي. 'موقف' صادق. 'موقف' يشبه الإنسان. 'موقف' يشبه اليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —ما هو 'الموقف'؟ 'الموقف' هو أن ترفض. أن ترفض 'الكهنوت'. أن ترفض 'السلالة'. أن ترفض 'المسيرة'. أن ترفض 'الظلم'. أن ترفض 'الجوع'. أن ترفض 'الانتهاكات'. أن ترفض كل شيء. أن ترفض"...

صمتت. ثم قالت:

" —ما هو 'الموقف'؟ 'الموقف' هو أن تتكلم. أن تتكلم عندما يكون الكلام خطراً. أن تتكلم عندما يكون الكلام موتًا. أن تتكلم عندما يكون الكلام تضحية. أن تتكلم... أن تتكلم".

صمتت. ثم قالت:

" —ما هو 'الموقف'؟ 'الموقف' هو أن تخرج. أن تخرج إلى الشارع. أن تخرج إلى الميدان. أن تخرج إلى الساحة. أن تخرج... أن تخرج. أن تخرج غصبا عن أنوفهم. غصبا عن 'الكهنوت'. غصبا عن 'السلالة'. غصبا عن 'المسيرة'. أن تخرج... أن تخرج حرًا".

صمتت. ثم قالت:

" —ما هو 'الموقف'؟ 'الموقف' هو أن ترفع العلم. أن ترفعه عاليًا. أن ترفعه في وجه الطاغية. أن ترفعه غصبا عن أنوفهم. أن ترفعه... أن ترفعه".

صمتت. ثم قالت:

" —ما هو 'الموقف'؟ 'الموقف' هو أن تكون مستعدًا. مستعدًا للتضحية. مستعدًا للموت. مستعدًا للشهادة. مستعدًا... مستعدًا".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا كنت أقول: 'الشعوب لا تتغير بالكلمات'. وأنا الآن أقول: 'الشعوب تتغير بالمواقف'. بالمواقف الحقيقية. بالمواقف الصادقة. بالمواقف التي تشبه الإنسان. التي تشبه اليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لم أعد أريد 'كلمات'. أنا أريد 'مواقف'. أنا أريد 'تضحيات'. أنا أريد 'دماء'. أنا أريد 'أرواح'. أنا أريد... أنا أريد 'يمنًا' حرًا. 'يمنًا' جمهوريًا. 'يمنًا' كريمًا".

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "موقف". على "تضحية". على "حقيقة". على شعب ليس صامتًا.

المشهد السبعون: أنقذوا اليمن... أنقذوا أنفسكم

في الأسبوع التالي، كانت نادية تجلس أمام الكاميرا للمرة الأخيرة. كانت "الحلقة الأخيرة". كانت "الكلمة الأخيرة."

نظرت إلى الكاميرا. كانت تعرف. كانت تعرف أن هذه "الكلمة" قد تكون "الأخيرة". قد تكون "البداية". قد تكون "النهاية". لكنها كانت تعرف أيضًا أنها لا تستطيع أن تصمت. لا تستطيع أن تخاف. لا تستطيع أن...

قالت في الكاميرا:

" —بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. أنا نادية . يمنية. من صنعاء. أتكلم إليكم اليوم. للمرة الأخيرة. ليس عن 'السياسة'. بل عن 'اليمن'".

صمتت. ثم قالت:

" —أنا تكلمت كثيرًا. كتبت كثيرًا. قلت كثيرًا. لكنني أعرف. أعرف أن 'الكلمات' وحدها لا تكفي. 'الكلمات' تحتاج إلى 'موقف'. 'الموقف' يحتاج إلى 'تضحية'. 'التضحية' تحتاج إلى 'دم'. 'الدم' يحتاج إلى 'أرواح'. 'الأرواح'... 'الأرواح' هي اليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —اليمن تموت. تموت جوعًا. تموت مرضًا. تموت خوفًا. تموت ذلًا. تموت... تموت. لكن... لكن اليمن لا تموت. اليمن تنتظر. تنتظر من ينقذها. تنتظر من يتكلم. تنتظر من يقاوم. تنتظر من يضحي. تنتظر... تنتظر".

صمتت. ثم قالت:

" —يا أهل اليمن. يا أحفاد الجمهورية. يا من تحبون هذا البلد. يا من تريدون الحرية. يا من تريدون الجمهورية. يا من تريدون الكرامة. أنقذوا اليمن. أنقذوا أنفسكم".

صمتت. ثم قالت:

" —أنقذوا اليمن من 'الكهنوت'. أنقذوا اليمن من 'السلالة'. أنقذوا اليمن من 'المسيرة'. أنقذوا اليمن من 'الظلم'. أنقذوا اليمن من 'الجوع'. أنقذوا اليمن من 'الانتهاكات'. أنقذوا اليمن من"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنقذوا أنفسكم من 'الخوف'. أنقذوا أنفسكم من 'الصمت'. أنقذوا أنفسكم من 'الذل'. أنقذوا أنفسكم من 'العبودية'. أنقذوا أنفسكم من"...

صمتت. ثم قالت:

" —أنا أعرف أن هذا ليس سهلًا. أنا أعرف أن هذا خطر. أنا أعرف أن هذا قد يعني 'الموت'. لكن... لكن 'الموت' أهون من 'الذل'. 'الموت' أهون من 'الصمت'. 'الموت' أهون من 'العبودية'. 'الموت'... 'الموت' هو 'الحياة'!

صمتت. ثم قالت:

" —أنا لن أبقى صامتة. أنا سأستمر في الكلام. سأستمر في الكتابة. سأستمر في المقاومة. سأستمر... سأستمر حتى تعود الجمهورية. حتى تعود الحرية. حتى يعود اليمن".

صمتت. ثم قالت:

" —عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

صمتت. ثم نظرت إلى الكاميرا. ثم قالت:

" —والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

في الخارج، كانت الشمس تشرق. كانت تشرق على المدينة. على المهجر. على التاريخ. كانت تشرق على "كلمة". على "موقف". على "حقيقة". على شعب ليس صامتاً.

في قلب كل يمني، كان هناك صوت. صوت يقول:

" —أنقذوا اليمن. أنقذوا أنفسكم. عاشت الجمهورية. عاش اليمن. عاشت الحرية".

في قلب كل يمني، كانت هناك "الحرية". كانت هناك "الجمهورية". كانت هناك "الكرامة". كانت هناك "٢٦ سبتمبر."

الخاتمة

في النهاية، تبقى "**إرهاب الأدعياء في اليمن** "حقيقة". لا يمكن دفنها. لا يمكن حرقها. لا يمكن اعتقالها. لا يمكن تكميمها. لأنها ليست كلمة.

إنها **دم**

دم شعب

دم وطن

دم **اليمن**.

نادية قالت الحقيقة. ليس لأنها ليست شجاعة. بل لأنها **لم تعد تستطيع أن تسكت** .لأن السكوت صار **موتًا** .والموت أهون من السكوت. لأن السكوت **خيانة** .خيانة للوطن. خيانة للشعب. خيانة لله. خيانة للتاريخ.

هذه الرواية ليست نهاية. إنها **بداية** .بداية لثورة. بداية لفجر. بداية ليمن جديد. يمن **26سبتمبر** .يمن **الجمهورية** .يمن **الحرية**.

"الشعوب لا يمكن أن تتغير بالكلمات أو بالشعارات. يحتاج لها موقف حقيقي"

نادية